

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
جامعة 08 ماي 1945 * قالمة *



كلية العلوم الانسانية والعلوم الإجتماعية
قسم التاريخ
تخصص: تاريخ عام

مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس نظام جديد * ل م د * في التاريخ

دولة المماليك في مصر 1250-1517م

الاستاذ المشرف:

- عمر عبد الناصر

من إعداد الطالبات:

حزام وفاء

لعرابة نور الهدى

محمداتني ابتسام

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة	الجامعة
غربي الحواس	استاذ مساعد أ-	رئيسا	8ماي 1945
عمر عبد الناصر	-استاذ مساعد أ	مشرفا	ماي 8 1945
قرين عبد الكريم	-استاذ مساعد أ	مناقشا	ماي 8 1945

السنة الجامعية: 2016/2017



شكر وتقدير

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك، و لا يطيب النهار إلا بطاعتك...

و لا تطيب اللحظات إلا بذكرك... و لا تطيب الأخوة إلا بعفوك...

و لا تطيب الجنة إلا برويتك إلهي من بلغ الرسالة و أدى الأمانة...

و نصح الأمة... إلهي بنبي الرحمة و نور العالمين...

سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم

نتقدم بخالص الشكر و عظيم التقدير إلهي كل من قدم لنا يد العون لإنجاز هذا العمل المتواضع سواء من قريب أو من بعيد، و نخص بالذكر الأستاذ الموقر المشرف عمر عبد الناصر الذي تحمل معنا مشاق البحث إلهي آخر اللحظة و كان عوننا كبيرا لنا لإنجاز هذه المذكرة لاسيما و أنه لم يبخل علينا بالنصائح و التوجيهات القيمة.

إلهي اللجنة المحترمة التي وافقت على مناقشة هذه المذكرة، كما لا يفوتنا أن نتقدم بالشكر الجزيل إلهي كل الأساتذة الذين وافقونا في مشوارنا الدراسي، نشكر كل من قدم لنا نصيحة أو حتى كلمة عون.

نور الهدى . وفاء . إبتسام

إهداء

إلى من جرح الكأس فارغاً ليستقيني قطرة حبه
إلى من كثره أذاعه ليقدّم لنا لحظة سعادة
إلى من حصد الأهواك عن دربي ليهد لي طريق العلم
إلى القلب الكبير

(إلى والدي)

إلى من صدر الحبه والحنان
إلى رمز الحبه ولبس الشفاء
إلى القلب الناصح والبياض

(إلى والدتي)

(إلى مندي وقوتي وملاذي بعد الله
إلى من أثروني على أنفسهم
إلى من علموني علم الحياة
إلى من أظهروا لي ما هو أجمل من الحياة
إخوتي أسماء، شيما، والتاكيب دعاء، أسيل

إلى من كانوا ملاذي وملجئي
إلى من تذوقتهم معهم أجمل اللحظات

إلى زوجي العزيز * صباغة بلال * وإلى عائلته خاصة الوالدين الكريمين
إلى من جعلهم الله أخوتي بالله و من أحببهم بالله صديقتي في الجامعة

وفاء - إبتسام
لعرابة نور الهدى

إهداء

إلى النور الذي ينير لي درب النجاح
ويا من علمتني الصمود مهما تبدلت الظروف.. أمي
إلى والدتي الغالية التي لم تأل جهداً في تربيته وتوجيهي
أقدم هذا العمل.

إلى سبب وجودي في الحياة .. والدي الحبيب

لك كل التجلي والاحترام

إلى من كانوا يضيئون لي الطريق

ويساندوني ويتنازلون عن حقوقهم

لإرضائي والعيش في هدوء

إخوتي إبتسام، رياض، عادل

أحبكم حبا لو مر على أرض قنطرة

لتفجرت منها ينابيع المحبة

إلى فرحة البيت: ملاك - أماني

إلى أبناء عمي: ريان - إكرام

إلىكم انتم

إبتسام - سميرة

جزاء وفاء

إهداء

إلى من علمني النجاح والصبر
إلى من افتقده في مواجهة الصعاب
ولم تمهله الدنيا لأرتوي من حنانه.. أبي
وإلى من تتسابق الكلمات لتخرج معبرة عن مكنون ذاتها
من علمتني وعازت الصعاب لأصل إلى ما أنا فيه
وعندما تكسوني المصوم أسبح في بحر حنانها ليخفف من آلامي .. أمي
إلى إخوتي شرفه الدين وزوجته العزيزة ، عماد ، و الكتكوتة سلسيل
إلى الزوج الفاضل * حسام لطرش *
إلى عائلتي الثانية أمي - أبي
إلى صديقاتي الدرج
نور الهدى - وفاء
تمنية من المولى ان ينعموا بالسعادة
في الدنيا

محمداتني إبتسام

فصل تمهيدي: نبذة تاريخية عن دولة المماليك

المبحث الأول: تعريف المماليك (أصلهم- لغتهم)

المبحث الثاني: نشأة دولة المماليك

المبحث الثالث: نظام الحكم في دولة المماليك

الفصل الثاني: المماليك البحرية في مصر: (648 هـ -784 هـ / 1250م-1382م)

المبحث الأول: المماليك البحرية و نشأتها

المبحث الثاني : نماذج عن معارك المماليك البحرية

المبحث الثالث: خصائص المماليك البحرية

الفصل الثالث: المماليك البرجية (784 هـ-923 هـ / 1382م-1517م)

المبحث الأول: المماليك البرجية ونشأتهم 784 هـ-923 هـ / 1382م-1517م

المبحث الثاني: نماذج عن معارك المماليك البرجية

المبحث الثالث: خصائص المماليك البرجية

المبحث الرابع: سقوط دولة المماليك

الفصل الرابع: المظاهر الحضارية لدولة المماليك

المبحث الأول: الجانب الاجتماعي و الإقتصادي

المبحث الثاني: الجانب الديني و العلمي

المبحث الثالث: الجانب الثقافي و المعماري

الخطة:

المبحث الرابع: الجانب العسكري

الخاتمة

قائمة الملاحق

قائمة المصادر المراجع

الفهرس

مقدمة

مقدمة

سقطت الدولة الأيوبية في مصر سنة 1250 و قامت على أنقاضها دولة المماليك، و لقد كانت فترة حكم المماليك من الفترات التاريخية المثيرة في المنطقة العربية و العالم الاسلامي عامة و مصر خاصة، التي إستمرت من القرن الثالث عشر إلى بداية القرن السادس عشر الميلاديين، و التي فرضت سيطرتها و إمتدت أرجاءها إلى الشام و العراق و أجزاء من الجزيرة العربية لأكثر من قرنين و نصف و كان ذلك بالتحديد سنة 1250م إذ سقطت نهائيا في موقعة الريدانية سنة 1517م.

هذه المدة الطويلة تدل على عظمة هذه الدولة في تاريخ المشرق العربي و العالم الاسلامي، و قد بلغت أوج نجاحاتها المتمثلة في التصدي للخطر الصليبي و المغولي بالإضافة إلى سيطرتها على زمام الأمور السائدة في الدولة، حيث عرفت منطقة الشرق الأدنى تحولات جذرية على كافة الأصعدة، سببها قدوم المماليك و هم أرقاء من مختلف الأجناس كان يطلق بالرقيق الأبيض، و لكن بفضل الحنكة التي إمتاز بها هؤلاء إستطاعوا أن يشكلوا دولة قوية في بلادهم فيها غرباء، و لقد تألف دولة المماليك من أسرتين: الأسرة البحرية و الأسرة البرجية، اللتان تعاقبا عليها العديد من السلاطين، حيث كان لكل واحد منهم أثر خاص في تلك الدولة.

و يعود سبب إختيارنا لهذا الموضوع إلى عدة دوافع و لعل أهمها هو الرغبة الشخصية في الإطلاع على تاريخ هذه الدولة و محاولة الإسهام بعمل بحثي نهدف به إلى تقديم إضافة حول تاريخ هذه الدولة.

و لتحقيق ذلك إنطلقنا من مقارنة أساسها كشف العوامل الخفية لظهور و سقوط هذه الدولة، التي إلتزمت علينا طرح الإشكالية التالية: كيف تحول الرقيق الأبيض إلى ملوك، الأمر الذي هو جدلية في ذاته. و للإجابة عن هذه الإشكالية طرحنا مجموعة من التساؤلات:

1/ من هم المماليك و كيف إنتقلوا إلى العالم الاسلامي؟

2/ كيف قامت هذه الدولة و كيف إنتقلت السلطة إليهم؟

3/ ماهي المراحل التي مرت بها الدولة المملوكية و ماهي أبرز خصائصها؟

4/ ماهي أهم الجوانب الحضارية التي تميزت بها؟

5/ ماهي العوامل و الأسباب التي آلت بها إلى التدهور و السقوط؟

و على ضوء المادة العلمية التي تحصلنا عليها، تمكنا من جمع الموضوع، و عليه قمنا بتقسيم البحث إلى مقدمة و أربعة فصول إضافة إلى الخاتمة:

- **الفصل التمهيدي:** تناولنا فيه تعريف المماليك أصلهم و لغتهم، و كيف نشأت هذه الدولة و نظام الحكم السائد فيها.
 - **الفصل الأول:** خصصنا المرحلة البحرية لدولة المماليك في مصر حيث قمنا بتعريف هذه الأسرة و نشأتها، كما تطرقنا إلى أهم المعارك التي خاضتها، و أبرز الخصائص التي ميزت هذه المرحلة.
 - **الفصل الثاني:** تحدثنا عن المرحلة البرجية لدولة المماليك، حيث عرفنا هذه الأسرة و كيف نشأت، كما تحدثنا على أبرز المعارك التي واجهتها، و الخصائص التي تميزت بها هذه الأسرة، و الأسباب التي أدت إلى سقوط دولة المماليك و إنتهائها.
 - **الفصل الثالث:** تناولنا أهم المظاهر و الجوانب الحضارية لدولة المماليك من الناحية الاجتماعية و الاقتصادية، الدينية و العلمية و المعمارية و أخيرا من الناحية العسكرية.
 - خاتمة هذا الفصل كانت عبارة عن مجموعة من الإستنتاجات التي هي إجابة على التساؤلات التي تم طرحها في المقدمة.
- و قد إعتدنا في دراسة هذا الموضوع على المنهج التاريخي الوصفي لتلاؤمه مع الدراسة الخاصة بهذا الموضوع.

و من أهم المصادر التي إعتمدنا عليها هي كالتالي: المقريري بعنوان: "الخطط المقريرية"، و كذلك المحامي محمد فريد بيك بعنوان: "تاريخ الدولة العليا العثمانية". أما بالنسبة للمراجع المعتمدة عليها في هذه الدراسة هي: سهيل طقوش بعنوان: "تاريخ الأيوبيين في مصر و بلاد الشام و إقليم الجزيرة" و كذلك كتابه بعنوان: "تاريخ المماليك في مصر و بلاد الشام"، و كذلك سعيد عبد الفتاح عاشور بعنوان: "الأيوبيين و المماليك في مصر و بلاد الشام"، و كذلك قاسم عبدة قاسم بعنوان: "عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي و الاجتماعي".

و من أهم الصعوبات التي واجهتنا في هذه الدراسة هو ضيق الوقت نظرا لتزامن إنجاز مذكرتنا هذه مع الدراسة و الإمتحانات، و لكن الحمد لله إستطعنا التغلب على هذا المشكل بفضل مساعدة أستاذنا المشرف و مساعدي مكتبة كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية لجامعة 08 ماي 1945. قالمة: كمال بولعراس، ديبون ساهل إلياس.

الفصل التمهيدي:

نبذة تاريخية عن دولة المماليك

❖ المبحث الأول: تعريف المماليك (أصلهم-لغتهم)

❖ المبحث الثاني: نشأة دولة المماليك

❖ المبحث الثالث: نظام الحكم في دولة المماليك

المبحث الاول: تعريف المماليك (اصلهم- لغتهم):

المماليك جمع مملوك و المملوك في اللغة هو العبد المشرق الذي لا يملك حرية نفسه¹ و هو الذي لا يملك ابواه و المملوك عبد يباع و يشرى² و لم تلبث التسمية ان اتخذت مدلولاً اصلياً خاصة في التاريخ الاسلامي اذ اقتضت منذ عهد الخليفة العباسي المأمون (198-218هـ/813-833م) ثم المعتصم (218-227هـ 833-842م) على فئة من الرقيق الأبيض كان الخلفاء و كبار القادة و الولاة في دولة الخلافة العباسية يشترونهم من اسواق النخاسة البيضاء لاستخدامهم كفرق عسكرية خاصة بهدف الاعتماد عليهم في تدعيم نفوذهم³ و كانت هذه الفرق العسكرية ترجع اصولهم الى الاتراك او المغول⁴ او الجراكسة و غيرهم من الأجناس الاخرى و كانوا يجلبون من البلاد الروسية و القفقاسية او يقدمون في بعض الاحيان كهداية و هبات او بدلا من ضريبة او جزية يدفعها حكام الولايات او القادة العسكريون⁵ و قد نسبت مجاميع المماليك في مصر الى من قاموا بشرائهم كل مجموعة تنسب الى شاربها على سبيل

¹ عطية القوسي، موسوعة الثقافة التاريخية والاثريّة والحضارية التاريخ الاسلامي التطور التاريخي للدولة الاسلامية، (دار الفكر العربي، القاهرة، 2008، م.5)، ص.03.

² محمد بن مكرم بن منصور الافريقي، لسان العرب، (دار الصادر، بيروت، 2010، ج.10) ص.493.

³ محمد سهيل طقوش، تاريخ الأيوبيين في مصر و بلاد الشام و اقليم الجزيرة، (دار الفانس للطباعة و النشر و التوزيع، ط2، لبنان، 2008)، ص.391.

⁴ المغول: هم مجموعة من القبائل البدوية المترحلة التي كانت تنتشر في هضبة منغوليا، الواسعة الرقة، تلك الهضبة التي تفاوتت طبيعتها الجغرافية بين جبال من جهة و صحاري مقفرة من جهة اخرى، فكانت السهوب الواسعة التي تحدها صحراء جوبي من الجنوب تمثل مواطن استقرار هذه المجموعات من القبائل في فصل الشتاء حيث الدفء و توفر الكلا و المرعى، بينما تكون الجبال جبال الناي و جبال جانجاي و غيرها مواطن لسكانهم في فصل الصيف و قد اتسمت أخلاقهم بالوحشية و القوة.

انظر: خالد عزام، العصر العباسي، (دار أسامة، عمان، 2006)، ص.280.

⁵ فتحي سالم حميدي اللهيبي، وآخرون، جوانب من الحياة السياسية و الاقتصادية والاجتماعية في العصر المملوكي تفسير جديد، (دار غيداء، لبنان، 2014)، ص.17.

المثال أسد الدين شيروكه عم صلاح الدين نسب اليه و عرفوا بالأسدية أما الصلاحية فهم ينتسبون إلى صلاح الدين الأيوبي¹

أما بالنسبة للغة المماليك فقد كانوا يعتمدون على اللغة التركية و هي لغة مملوءة بالفارسية و العربية حتى لو لم يكونوا تركا, فعدد كبير من سلاطين المماليك و أمرائهم وصلوا الى السلطنة ووظائفها العالية دون أن تكون لهم معرفة بالعربية, و مع ذلك فكثير من المماليك أتقن العربية و أصبح فصيح اللسان و له مسائل في الفقه عويصة يرجع له فيها العلماء²

¹ عطية القوصي، مرجع سبق ذكره، ص.04.

² ايناس حسني البهجي، دولة المماليك البداية والنهاية، (دار التعليم الجامعي، القاهرة، 2015)، ص.47.

المبحث الثاني: نشأة دولة المماليك:

على الرغم من ان دولة المماليك (648-922 هـ 1250-1517) ورثت ممتلكات دولة الأيوبيين و مسؤولياتها السياسية و العسكرية و المثير حقا ان دولة الأيوبيين انتهت فقامت على انقاذها دولة المماليك لنفس السبب الذي أدى الى قيامها على يد السلطان الناصر¹ صلاح الدين الأيوبي , أي مسؤولية التصدي لأعداء الأمة الذين احتلوا القدس و أجزاء من فلسطين و بلاد الشام و باتوا يهددون بقية المنطقة العربية, فقد فشل الأيوبيين الأواخر في استكمال الدور التاريخي الذي افرز دولتهم و بدلا من اهتمامهم بالجهاد ضد العدو الفرنجي وجهوا طاقتهم و قدراتهم السياسية و العسكرية للقتال فيما بينهم بل وصل الأمر ببعضهم الى درجة الاستعانة بالفرنج ضد البعض الآخر²

وبسبب حال التشرذم السياسي و التناحر العسكري فيما بين ملوك الأيوبيين الصغار تراجع دورهم التاريخي امام دور المماليك الذين رباهم الأيوبيين ليكونوا عدتهم العسكرية ضد بعضهم البعض³ و من رحم الظروف التاريخية التي أطاحت بالأيوبيين الاواخر خرجت دولة المماليك التي نجحت في انتزاع الدور التاريخي من الايوبيين بيذا انها واجهت مسؤولية هذا

¹ صلاح الدين الايوبي: ولد صلاح الدين يوسف بن ايوب سنة (532 هـ -1136م) بقلعة تكريت وهي بلدة مشهورة بين بغداد و الموصل، وهو كردي الأصل و من اعظم رجال الاسلام تعقلا و سياسة و بسالة و تدبيرا أنشأ دولته على انقاض الدولة الفاطمية بمصر و بايع فيها للخلفاء العباسيين و حارب الصليبيين و ردهم عن سوريا و انقضض بيت المقدس من ايديهم و لما مات اقتسم مملكته اخوته و اولاد اخوته .

انظر: جورجى زيدان، مصر العثمانية، ت ح: محمد حرب، (دار الافاق العربية، القاهرة، 2002)، ص. 52.

² قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك التاريخي السياسي و الاجتماعى، (عين للدراسات و البحوث الانسانية و الاجتماعية، د م، 2012)، ص.11.

³ نفسه، ص.11.

الدور التاريخي أيضا فقد تعين على سلاطين المماليك مواجهة خطر مزدوج من جانب سادتهم السابقين.¹

من بني أيوب و من الفرنج و الحزب الأوروبي المتربص بالعالم العربي و لقد اشتعلت الحروب الداخلية بين ملوك الأيوبيين بالشكل الذي أغرى القوى الفرنجية الصليبية بالتدخل لصالح فريق ضد فريق و تجمعت القوى الأيوبية المتناثرة في بلاد الشام حلف بأئس مع الصليبيين ضد السلطان الصالح نجم الدين الأيوبي سلطان مصر و كبير الأيوبيين².

لقد انضم العديد من الملوك و من بينهم الملك صالح اسماعيل حاكم دمشق الى الصليبيين ضد الصالح نجم الأيوب حاكم مصر، و هكذا تحتم عليه مواجهة أقرائه بالسلاح بفضل مواردهم الهائلة تمكن من تجنيد جيش يفوق الامكانيات العسكرية لهذا التحالف البائس، و جند عددا من الجنود الخوارزمية الذين كانوا قد وفدوا الى المنطقة العربية بعد ان دمر المغول دولتهم يبيعون خدماتهم العسكرية لمن يدفع أكثر، و نجح صلاح نجم الدين هو وجيشه في الاستلاء على دمشق و بيت المقدس و نابلس و ضمنهم الى املاكه و تم تدمير جيوش التحالف سنة 1244.

وبعد ذلك غير الخوارزمية ولائهم وانقلبوا ضد الصالح نجم الدين ايوب، ومن هنا بدا اعتماده يتزايد اكثر على المماليك مما مهد السبيل لظهورهم قوة عسكرية ثم سياسية في المنطقة لم تلبث ان سيطرت على مقاليد الامور.³

وعلى الرغم من مرض السلطان الصالح نجم الدين عاد الى مصر بعد ان عقد صلحا مع الملك الناصر يوسف صاحب حلب، بدا في ترتيب اوضاعه العسكرية للدفاع عن مصر

¹ قاسم عبده قاسم ، مرجع سبق ذكره، ص.11.

² نفسه، ص.14.11.

³ نفسه، ص.14-

ودمياط تحديداً ضد الهجوم الصليبي المرتقب، وتحكي المصادر التاريخية ان الامبراطور فريدريك الثاني صديق الايوبيين وعدو البابوية اللدود ارسل احد رجاله الى الملك الصالح ليحذره من الحملة الصليبية بقيادة الملك الفرنسي لويس التاسع.¹

هذه الحملة كانت الاستعدادات تجري لها في الغرب الأوروبي بين البابا انوست الرابع و الملك الفرنسي لويس التاسع كان الهدف منها اعادة بيت المقدس فقط وانما تكوين حلف مسيحي وثني بين الصليبيين و المغول لهدم الدولة الأيوبية في مصر و الشام و لكن مشروع التحالف المسيحي المغولي فشل لأن المغول كانت لهم أحلامهم الخاصة بالسيادة على العالم.²

وفي هذه الأثناء كان الملك الصالح يعيش أيامه الأخيرة بسبب المرض في مدينة المنصورة، حيث كان يواجه خطر الصليبيين بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا 647هـ-1249م الذي كانت جحافلهم قد طرقت الحدود المصرية و احتلت مدينة دمياط، و في تلك الأثناء استبد المرض بالملك الصالح أيوب مما ادى الى وفاته³ ليلة النصف من شعبان سنة 647هـ 1249م، اذ ان وفاة ذلك السلطان افسحت المجال لظهور قوة المماليك كما كشف عن عجز الأيوبيين بشكل مثير و يبدو ان السلطان قد رتب لأمر الحكم مع زوجته⁴ شجرة الدار قبل وفاته، وبذلك انتقلت السلطة اليها، التي بدورها تكتمت على خبر وفاة زوجها حفاظا على معنويات الجيش المصري⁵ ثم أرسلت في طلب ابن زوجها الوحيد توران شاه الذي كان آنذاك

¹ قاسم عبده قاسم ، مرجع سبق ذكره، ص.15 .

² نفسه، ص.16.

³ مصطفى هاشم عبد العزيز الحنون، الصراع بين المماليك و القوى السياسية في المشرق الاسلامي، (المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 2013)، ص.17.

⁴ شجرة الدر: كانت تركيا الأصل و قيل أرمنيا اشتراها الملك صالح أيوب فحظيت عنده فعتقها ثم تزوجها و قدت ولدة منه ابنا خليل الذي مات صغيرا.

انظر: المقريزي تقي الدين أحمد بن علي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ت ح: سعيد عبد الفتاح عاشور، (مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة، 1957، ج 1)، ص.361.

⁵ قاسم عبده قاسم، مرجع سبق ذكره، ص.17.

موجودا في حصن كيفا، وسرعان ما وصل خبر وفاة الملك الصالح الى لوسيع التاسع فإستغل هذا الأخير خلو البلاط السلطاني من حاكم يقوده و زحف جيشه من دمياط الى مدينة المنصورة.¹

تم قدم توران شاه ابن الملك الصالح الى مصر ونزل بقصر السلطنة بالمنصورة حيث تمكن بفضل اسطوله من القضاء على 32 سفينة فرنسية ومنع وصول المؤونة و الذخائر الى جيش لويس في المنصورة ودارت الدائرة على الفرنسيين اضطر لويس الى التقهقر نحو دمياط فطرده المسلمون حتى فارسكور وقضي على جيشه سنة 1250، و اسر لويس و جيشه ولم يفن اسره الى بعد ان تعهد الفرنسيين بإخلاء دمياط وهكذا اخفق الصليبيون في كل حملاتهم على مصر.²

وفي صباح الاثنين 28 من محرم سنة 2648 مايو، تقدم نحوه بيبرس المملوكي في موقعة فارسكور وقتله بسيفه³ وهكذا بمقتل توران شاه ينتهي عصر الدولة الايوبية في مصر و الشام و بتولي شجرة الدر زوجة الملك الصالح السلطة يبدا عصر جديد هو عصر سلاطين المماليك الذين حكموا من خلال دولة عرفت باسم الدولة المملوكية.⁴

¹ مصطفى هاشم عبد العزيز، مرجع سبق ذكره، ص.18.

² حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي الديني الثقافي الاجتماعي، (مكتبة النهضة المصرية، ط 15 ، القاهرة، 2001)، ص.111.

³ قاسم عبده قاسم، مرجع سبق ذكره، ص.17.

⁴ حمدي عبد المنعم، وآخرون، تاريخ الأيوبيين و المماليك، (دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر و التوزيع، الاسكندرية، 2000)، ص.133.

المبحث الثالث: نظام الحكم في الدولة المملوكية :

كان نظام الحكم في الدولة المملوكية نظام وراثياً، حيث كان السلطان هو راس الدولة يتولى الحكم بقوته ومواهبه و كثرة ممالিকে، فاذا تولى السلطان خلفه في الحكم أقوى الامراء وفي حالة وجود ظروف غير مناسبة وان هناك من الامراء من ينافس هذا الامير، كان يلجأ إلى تعيين ابن السلطان المتوفي ريثما يتضح الموقف ويصبح الأمر سهلاً على أقوى الأمراء أن يعزله ويتولى السلطنة مكانه.¹

وقد تعاقب عن رئاسة الدولة المملوكية سلاطين منهم القوي يسيطر على شؤون الحكم، سواء عن طريق اثاره الخلافات بين الامراء او عن طريق كثرة الاعطيات، ومنهم الضعيف الذي اطلق ايدي المقربين اليه في امور الدولة، وتسلمت على الدولة الامراء الاقوياء الذين كانوا اذا وجدوا الفرصة المناسبة عملوا على الاطاحة بالسلطان وجلسوا مكانه على العرش.

لكن نظام الحكم في الدولة المملوكية لم يكن قائم على نظام التوريث فقط، بل على اختيار الحاكم وذلك كان شيء جديد في تاريخ مصر ليس فقط على مستوى مصر والشرق الاوسط لكن على مستوى العالم في العصور الوسطى.²

¹ احمد عودات، واخرون، تاريخ المغول و المماليك، من القرن السابع الهجري حتى القرن الثالث عشر هجري، (دار الكندي، إريد، 1990)، ص.139.

² نفسه، ص.139.

الفصل الأول:

الممالك البحرية في مصر: (648 هـ -

784 هـ 1250م - 1382م)

❖ المبحث الأول: الممالك البحرية و نشأتها

❖ المبحث الثاني : نماذج عن معارك الممالك البحرية

❖ المبحث الثالث: خصائص الممالك البحرية

المبحث الأول: المماليك البحرية و نشأتهم 648 هـ - 784 هـ / 1250-1382م

وهم الذين جلبهم الملك الصالح نجم الدين ايوب الذي جمع من المماليك الترك ما لم يجمع غيره من بني ايوب، فكان اكثر امراء عسكرة منهم، وبنى لهم قلعة في جزيرة الروضة في القاهرة وحشهم بها، واختار منهم فرقة للأسطول سميت الفرقة البحرية او الفرقة الصالحية¹، لإقامتهم في جزيرة الروضة في نهر النيل او بحر النيل²، حيث يرى العبادي انهم سموا بالبحرية لانهم انحدروا من اصول مختلفة ولا يربطهم دم ولا عنصر وانما يربطهم شيء واحد انهم مماليك اشتروا بالمال³، وكان معظم هؤلاء المماليك من الاتراك مجلوبين من بلاد القفجاق شمالي البحر الاسود⁴ ومن بلاد القوقاز قرب بحر قزوين⁵.

ان السلطان الصالح نجم الدين ايوب هو صاحب الفضل في تكوين فرقة المماليك البحرية⁶.

وكانت سطوة المماليك البحرية تنتشر يوما بعد يوم الى ان طمعوا الى خلع السلطان وتولي الملك مكانه، ولما تولى الملك المعظم اخر سلاطين بني ايوب وكان على مكان عليه من الإستبداد، انفت نفوسهم من أعمالهم فسعوا فيه الى ان قتلوه سنة 647 هـ / 1250 م ولما قتل الملك المعظم اختلفت الاحزاب فيمن يبائعون حوله⁷. حيث اخفت زوجته شجرة الدر خير

¹ أحمد عودات و آخرون، مرجع سبق ذكره، ص.85.

² تور الدين خليل، شجرة الدر القاهرة الملوك و منقذة مصر، (مؤسسة حورص الدولية للنشر و التوزيع، الإسكندرية، 2010)، ص.17.

³ أحمد عودات و آخرون، مرجع سبق ذكره، ص.87.

⁴ السيد الباز العريني، المماليك، (دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بتروت، د ت)، ص.56.

⁵ سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر و الشام في عصر الأيوبيين و المماليك، (دار النهضة العربية، لبنان، 2011)، ص.167.

⁶ نفسه ص.166

⁷ جورجى زيدان، مرجع سبق ذكره، ص.54.

وفاته الى ان حضر من الشام ابنه توران شاه و أوصى له بالحكم من بعده على مصر، وفي سنة 648 هـ / 1251 لما إنتصر المسلمون على الإفرنج بقرب حصن المنصور، و أسروا ملك فرنسا بعد ذلك بقليل، قتل ركن الدين بيبرس الملك توران شاه بن صالح أيوب، و ركن الدين بيبرس هو أحد المماليك الذين جمعهم الملك الصالح أيوب.¹

وأطلق عليهم إسم البحرية و تولت شجرة الدر في فترة قصيرة ثم سرعان ما عزلت و ولى بدلها المعز أيبك التركماني² مملوك زوجها السلطان صالح³، و تزوج بشجرة الدر حيث تنازلت له عن السلطة بعد أن حكمت البلاد 80 يوماً،⁴ و بهذا تولى المعز أيبك السلطنة سنة 648هـ/1250م، حيث واجهت السلطان مشاكل كثيرة خطيرة أهمها تهديد الأيوبيين بغزو مصر ذاتها، و كذلك رغبت شجرة الدر في الإنتقام من زوجها، ذلك يبدو من تاريخ هذه المرأة أنها كانت من ذلك النوع من النساء الذي يميل إلى السيطرة و التحكم أنها سبق أن تذوقت طعم السلطان، مما جعل من الصعب عليها بعد ذلك أن تقبل الإنزواء محرومة من كل نفوذ و سلطان، و يبدو أنها ندمت على أنها تنازلت عن الحكم لأبيك، فأخذت تفكر في وسيلة للتخلص منه مثلما تخلصت من توران شاه من قبل، و عندما إستبد الضيق بأبيك أخذ يفكر في التخلص من شجرة الدر بقتلها، في الوقت الذي إتصلت هي بالناصر يوسف الأيوبي بالشام و بعثت إليه بهدية "و أعلمته بأنها عزمت على قتل المعز أيبك و التزوج به و تملكه مصر " و لكن الناصر خشي أن يكون هذا خديعة، فلم يجيبها في شيء.⁵

¹ طالبي الأعرج بن الشيخ، المختصر في تاريخ العرب، (منشورات دار الأديب، الجزائر، 2006)، ص.92.
² المعز أيبك التركماني أول ملوك الأتراك، كان من أكبر مماليك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل، و كان دينا حنينا عفيفا و مكث في الملك نحواً من سبعة سنين، ثم قتلته زوجته شجرة الدر أم خليل، و قام الملك من بعده ولده نور الدين علي، و لقب بالمنصور. أنظر: عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير القريشي الدمشقي 774، 701، البداية و النهاية، ت ح: عبد الله بن عبيد المحسن التركي (هجرة للطباعة و النشر و التوزيع، مصر، 1998، ج 17)، ص.352.

³ طالبي الأعرج بن الشيخ، مرجع سبق ذكره، ص.92.

⁴ حمدي عبد المنعم، وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص.136.

⁵ سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيين و المماليك في مصر و الشام، (دار النهضة العربية، القاهرة، 1996)، ص.190.

و كانت أبناء مؤامرات شجرة الدر تصل أول بأول إلى أبيك، و جاءت الإشاعات إلى شجرة الدر بأن زوجها أبيك يريد الزواج من ابنة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، لكن شجر الدر كانت أسرع من أبيك في الحركة حيث حرضت جماعة من الخدم على قتله في الحمام و أسهمت هي بنفسها في تنفيذ الجريمة، و لكن مماليك المعز ابيك لم يغفروا لشجرة الدر فعلتها فقتلوا خنقا بعد قليل و ألقوا بجثتها على باب القلعة و بذلك خلا المسرح سنة 655 هـ/1257 م من أبيك و شجرة الدر جميعا¹

وتولى من بعده نور الدين علي بن المعز أبيك الملقب بالمنصور، و كان في الخامسة عشرة من عمره فأختير أحد الأمراء و هو سيف الدين قطز أتابكا له ثم خلعه في يوم السبت 14 ذو القعدة سنة 657 هـ فكانت مدته سنتين و ثمانية أشهر و ثلاثة أيام و قام من بعده السلطان الملك المظفر سيف الدين قطز.²

و ولى الملك سنة 657 هـ يوم السبت، و هو الرابع في ملوك المماليك البحرية، فبعدهما نُصب سلطانا على البلاد بدأ نجمه في الظهور، و قام بنشر الأمن في البلاد فاستقرت الأمور، و أحبط محاولات الأيوبيين لإسترداد مصر في أيدي المماليك فزاد ذلك في قوة إحكام قبضته على البلاد.³

و في تلك الأثناء كان المغول قد إستولوا على أغلب العالم الإسلامي و خربوا بغداد ، و إحتلوا سوريا، و أصبحوا الآن يُعدون العدة مع حلفائهم الصليبيين في مملكة عكا و مدن الساحل الفلسطيني للإنقضاض على مصر و القضاء نهائيا على الاسلام والمسلمين في العالم أجمع، وكانت الأخبار السيئة تتوالى على القاهرة من سقوط بغداد و قتل الخليفة المستعصم بالله عبد الله و أزالوا دولة بني العباس الى تحرك جحافل المغول نحو الشام التي تساقطت مدنها

¹ سعيد عبد الفتاح عاشور ،مرجع سبق ذكره،ص.191

2.نفسه ،ص.182

³ نور الدين خليل، سيف الدين قطز قاهر المغول،(مؤسسة حورس الدولية للنشر و التوزيع، الإسكندرية،2009)،ص.105.

الكبرى في يد هولاكو حيث خربوا بغداد و ديار بكر و حلب ونازلوا دمشق فملكوها وكانت هذه الأنباء تزيد القلق في مصر و ترفع الإحساس بالخوف من أن تصبح عاقبة مصر كالشام.¹

وفي هذه الأثناء جهز قطز حملة بجيش كبير وقادها لمحاربة هولاكو² وأوقع بجيشه وهزمه فكانت هذه الواقعة أول هزيمة عرفت التتر منذ ان قاموا، ودخل قطز إلى دمشق وعاد منها يريد مصر فقتله الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري قريب من المنزلة الصالحية في يوم السبت نصف ذي القعدة من نفس السنة فكانت مدته سنة تنقص ثلاثة عشرة يوماً.³

ومن هنا ابتدأت عهدة السلطان بيبرس البندقداري حيث جلس على عرش مصر وهو أول سلاطين المماليك البحرية الذين تربعوا على العرش مدة قرن من الزمان(658 هـ - 676هـ / 1260 - 1277م) وقد استقبله الاهالي استقبالا حار حيث اخذ يستهوي القلوب و يكفر عن السيئات التي ارتكبها فيما سلف هو وإخوانه من الاسرة البحرية وذلك من خلال إتباعه طريق الحكمة في شؤون البلاد وبسط نفوذه في داخل البلاد وخارجها وخفف الضرائب

¹ نور الدين خليل، مرجع سبق ذكره، ص 106.

² معركة هولاكو: كان هولاكو تتريا من أحفاد جنكيز خان وله حكومة قوية فاستدعاه مؤيد الدين العلقمي و زير المستعصم لفتح بغداد فلباه و هاجم البلاد العربية، و كان لا يأتي إلى بلد أو مدينة إلى و فتك بأهلها فتكاً دريعاً، فلا يترك رجلاً ولا امرأة و لا أطفالاً ولا شيخاً إلا و قتله فوصل بغداد و حصرها و ضيق عليها فخرج الوزير إليه توتق منه لنفسه و عاد إلى الخليفة المستعصم و قال له أن هولاكو سيقبلك في الخلافة كنا فعل بسلطان الروم، فخرج المستعصم من أكابر أصحابه و ظلوا يخرجون إلى التتر طائفة بعد طائفة حتى تكاملوا و كان منهم محي الدين بن الجوزي و أولاده فأمر بقتلهم جميعاً و دخلوا بغداد و هجموا على دار الخلافة و قتلوا من كان فيها و دام القتل و النهب نحو يوماً و قتل الخليفة المستعصم.

انظر: عمر الصالح البرغوثي واخرون، تاريخ فلسطين، (مكتبة الثقافة الدينية ، مصر، 2001)، ص.197.

³ تقي الدين أحمد بن علي المقرئ، المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والأثار المقريزية، تح: محمد زينهم، مديحة الشراوي، (مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1997)، ص.125.

التي كانت سبب في تنغيص حكم سلفه الى الامة، ونال الثقة التامة لما كان يسنه من القوانين العادلة وبالاعتدال في ترقية مماليكه.¹

كما انه اهتم بأحوال مصر الداخلية ، حيث قام بإنشاء الكثير من المدارس والجوامع الاسبله، كما أقام لكل مذهب من المذاهب الأربعة الشافعية، الحنبلية، والمالكية، والحنفية، قاضيا وراح بذلك الناس من عناء كثير وهذا بالإضافة الى انه قام بإعداد جيش قوي وأسطول كبير ليحارب به أعداء الدولة من مغول وصلبيين.²

ومن أهم الأعمال التي قام بها السلطان بيبرس إحيائه الخلافة العباسية في مصر بعد سقوطها و نهايتها في العراق ومبايعة المستنصر بالله أحمد بن الطاهر أحد أقرباء المستنصر بالله بالخلافة ونقل مقر الخلافة من بغداد الى القاهرة سنة (658 هـ/1259م) وقد إستهدف بيبرس من وراء ذلك اعتراف الخليفة الجديد بشرعية حكمه وهو مملوك لمصر والشام، وكسب المماليك الشرعية في حكمهم من الخليفة ، كذلك استحدث بيبرس نظام ولاية العهد في دولة المماليك فورث سلطنة مصر بناء على اثنين من ابناءه من بعده وهم : سعيد بركة خان ثم العادل بدر الدين سلامش ولقد حارب بيبرس الصليبيين كذلك حارب المغول.³

اما بصد حربه للصليبيين فقد واصل بيبرس حروب الايوبيين ضدهم، وقد تجددت الحريب بين المسلمين والصليبيين برغم الهزيمة الساحقة التي سبق أن ألحقت بهم، وبقائد حملتهم بقيادة الملك الفرنسي لويس التاسع الذي اسر في معركة فارسكور، وقد جاء رد فعل بيبرس بقيادة حملاته ضد الصليبيين بعد أن تخلص من مشاكله الداخلية فاغار على مدن قيسارية وحيفا وارسوف واستولى عليها واستخلصها من ايديهم سنة (664هـ/1265م)وفي العام

1 اليسر وليم موير، تاريخ دولة المماليك في مصر، ت ر :محمود عابدين، واخرون،(مكتبة مادبولي، القاهرة، 1995، ص.ص.47.48.

2 إبراهيم الأبياري نظرات في التاريخ الإسلامي،(دار الكتاب المصري، القاهرة،1987م ج 2)، ص.646.

3 احمد مختار العابدي ، قيام دولة المماليك الاولى في مصر والشام، (مؤسسة شباب الجامعة للطباعة و النشر و التوزيع، الإسكندرية، د.ت)،ص.180.

التالي استولى على مدينة صيدا الساحلية ويافا وأرمينة الصغرى، وكان أكبر انتصار لبيبرس على الصليبيين حين نجح في إسقاط أنطاكية في يده، وقد كانت أقوى الإمارات الصليبية المتبقية بالشام سنة (667هـ/1268م) بعد إحكام الحصار عليها لعدة شهور، وكان لسقوط أنطاكية في يد بيبرس أثر هام في كسر شوكة الصليبيين .¹

ولم يكتفي بيبرس بمحاربة الصليبيين في البر و حسب، بل حاربه أيضا في البحر، فاستولى على جزيرة قبرص التي كانت خاضعة لبيزنطة وتقوم بإرسال الإمدادات للصليبيين وكان هدفه من ذلك تعزيز مكانة الأسطول الإسلامي في البحر المتوسط وأن يحول هذا البحر من بحيرة رومية الى بحيرة إسلامية²، وأثناء حربه مع الصليبيين وجد بيبرس ضرورة القضاء على نفوذ جماعة الباطنية الإسماعيلية (الحشاشين) في بلاد الشام، وكانت هذه الجماعة قد قامت بدور خطير في تاريخ الحروب الصليبية بمحالفتهم للصليبيين وإظهار تبعيتهم لهم ومساعدتهم لهم، فقام بيبرس بالإستيلاء على جميع حصونهم وقلاعهم بالشام وأراح المسلمين من شرهم و إفسادهم .³

اما عن حرب بيبرس مع المغول، فقد قام بيبرس بمحاربة مغول فارس دون بقية المغول، هذه الأخيرة انقسمت الى معسكرين: معسكر معاد وهم مغول فارس، ومعسكر مسالم وهم مغول القبجاق الذين عرفوا بالقبيلة الذهبية في منطقة شمال بحر القزوين والبحر الأسود، وقد حاول المغول إقامة جبهة موحدة مع الصليبيين ضد المسلمين لكن الظاهر بيبرس نجح في إفشال هذا

¹ عطية القوصي، مرجع سبق ذكره، ص.13.

² نفسه، ص.13.

³ احمد حطيظ، قضايا في تاريخ المماليك السياسي و الحضاري، (الفرات للنشر و التوزيع، بيروت، 2003)، ص.26.

المشروع الصليبي المغولي، بعقده تحالف مضاد مع مغول القبجاق ، و قد ساعد في إتمام التحالف بينهما إعتناق الملك القبجاقى بركة خان لدين الإسلام، وتأكدت أوامر التحالف بين الجانبين المملوكي و القبجاقى بزواج الظاهر بيبرس من إبنة الملك بركة خان، وأصبح التحالف بين مصر و المملوكية و مغول القبجاق منذ ذلك الوقت، ركنا تقليديا من اركان سياسة دولة المماليك بمصر، وقد ساعد هذا التحالف في وقوف سلاطين المماليك موقفا حازما من مغول فارس.¹

وفي سنة (676هـ/1277م) وفي الرابع عشر من محرم من تلك السنة احس بيبرس بالمرض يذب في جسمه وهو في دمشق ثم احس بالموت يذب في نفسه مع هذا المرض، وإذا هو بعد أربعة عشرة يوما يودع تلك الحياة ليلقى حياة أخرى.²

وعقب وفاة بيبرس حدثت فترة اضطرابات كبرى في الدولة المملوكية إستمرت لمدة عامين كاملين، فقدت خلالها البلاد الأمن و الأمان التي كانت تتمتع به في عهده، وساد الاضطراب وعمت الفوضى البلاد، الأمر الذي أطمع فيها الأعداء من صليبيين و مغول، وقد تولى حكم البلاد في هذين العامين إثنان من أبناء بيبرس، واحد منهما تلوى الآخر، وقد إنتهز مغول فارس فترة الضعف هذه التي أصابت الدولة المملوكية فهاجموا أملاكها وحاولوا القضاء عليها والثأر لهزائمهم منها، فهاجموا مدينة حلب وأحكموا الحصار حولها وكادوا أن يسقطوها في أيديهم لولا أن الله تعالى أنقض البلاد وأزاح عنها هذا البلاء وذلك بأن بعث لها من يخلصها من عدوان المغول³ وهو القائد المظفر الحكيم السلطان المنصور سيف الدين قلاوون الألفي العلمائي الصالحي احد المماليك الاتراك البحرية الذين نبغوا أواخر العصر الايوبي، وهو قفجاقى من قبيلة برج أعلى، فجلب الى مصر و هو صغير واشتراه الأمير علماء الدين أقسنقر

¹ عطية القوصي، مرجع سبق ذكره، ص.14.

² ابراهيم الأبياري، مرجع سبق ذكره، ص.646.

³ عطية القومي، مرجع سبق ذكره، ص.15.

الساقى العادلي أحد المماليك العادل أبي بكر بن أيوب بألف دينار¹ فعرف من أجل ذلك بالألفي، فلما مات أستاذه الأمير علماء الدين صار بعد موته إلى الملك الصالح نجم الدين الأيوب سنة 647هـ فجعله من حملة البحرية² فأضيف له لقب الصالحى النجمي الى لقب الالفى.

فبعدهما مات بيبرس و خلفه على الملك ولداه بركة خان و سلامش اللذان لم يكونا اهلا للرئاسة، تغلب عليهما قلاوون و تسلم زمام الأحكام و كانت مدة حكمه بضع عشرة سنة 678هـ-689هـ / 1279-1290م كان شجاعا بطلا مقداما في الحرب، مغرما بشراء المماليك حيث قيل أنه تكامل منه 1200 مملوك أكثرهم من الشركسة، و حارب الصليبيين وغيرهم و خلف آثار بنائية لا يزال بعضها قائما إلى اليوم الماريستان المنصوري، و جامع قلاوون في شارع النحاسيين في مصر.³

و بلغ من عنايته بالمماليك أنه غير ملابسهم، و ألبسهم المخمل الأحمر و الأخضر و السمور و الفرو، و كان إستكثاره من المماليك الشركسة سببا في خروج السلطة من نسله، كما أصاب الملك الصالح فإستكثاره من المماليك الأتراك فتوالى على الملك بعده بعض أولاده و بعض مماليكه الأتراك و لم يثبت الملك طويلا إلى لإبنه الناصر قلاوون من سنة (709-741هـ / 1310م-1341) فخلف آثار كثيرة و حارب حروبا جما، و من جملة آثار مجرة الماء و الساقيات السبع على حدود مصر القديمة في القاهرة، و تكاثره مماليك الملك الناصر المذكور في أواخر أيامه، و إنتقل الحكم بعده إلى أبناءه الواحد بعد الآخر، و هم ثمانية، من سنة (741هـ-762هـ / 1341-1361م) و منهم السلطان حسن صاحب الجامع المعروف بإسمه

¹ تقي الدين احمد بن علي المقرئزي، مصدر سبق ذكره، ص.126.

² حمدي عبد المنعم، وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص.159.

³ جورجى زيدان، مرجع سبق ذكره، ص.55-56.

في مصر، و إنتقل بعدهم إلى جماعة من أهلهم حكموا 22 سنة أخرى حتى إنتقل سنة 784هـ إلى دولة المماليك الشراكسة أو دولة المماليك الثانية.¹

¹ جورجى زيدان، مرجع سبق ذكره ، ص.56.

المبحث الثاني: نماذج عن معارك المماليك البحرية

1- معركة عين جالوت:

إسم لموقع في فلسطين جرت فيه معركة مهمة و فاصلة بين المسلمين و المغول¹، و كان اللقاء عظيما عند عين جالوت في الخامس و العشرين من رمضان الذي وافق يوم الجمعة²، حيث تعد هذه المعركة من المعارك الحاسمة في التاريخ الإسلامي، و ضلت تذكرها الأجيال على مر العصور إلى أن يرث الله الأرض و من عليها و قد تولى السلطان قطز مصر سنة 657هـ و كان عليه أن يواجه الخطر المغولي الذي داهم المشرق الإسلامي، فإحتال بغداد و مدن الجزيرة و شمال الشام و تقدم نحو مصر حتى وصل غزة، كما كان عليه التعامل مع الصليبيين الذي يتربعون في بلاد الشام بحزم حيث إتصل قطز بحكام الأيوبيين في الشام لتوحيد صفوف المسلمين و لم شملهم في مصر والشام لصد العدوان المغولي فاستجاب له من أبت عليه عقيدته الإسلامية الأستسلام أو الإستكانة، و بدأ الجميع تنظيم الصفوف، و ما إن وصلت طلائع المغول جنوب الشام³ حتى أرسل هولاكو رسالة إلى حاكم مصر تنفيذا لأمر أخيه الخاقان منكو قآن أمرا إياه بالمسير من جيحون إلى أقصى ولايات مصر، قائلا في رسالته إلى الملك المظفر قطز مهددا إياه و يتوعده بأن يسلم أرض مصر دون قيد أو شرط و أن على المماليك التسليم و الإذعان للمغول يفوزوا بالنجاة من القهر و التدمير على يد الجنود المغول و جاء في خطاب هولاكو إلى قطز: " لكم في جميع البلاد معتبر، وعن عزمنا مزدجر، فاتعظوا بغيركم، وأسلموا إلينا أمركم، قبل أن ينكشف الغطاء، فتندموا، فنحن ما نرحم من بكى، ولا نرق لمن شكى، ، فأي أرض تأويكم، وأي طريق تتجيكم؟ فخيولنا سوابق، وسهامنا

¹ عبد القادر هيثم الخطيب، موسوعة الفتوحات الإسلامية من كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير مقتطفات من أحاديث الإمام محمد متولي الشعراوي، (دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2005، ص.82).

² أسامة أبو طالب ، الدولة العباسية، (دار البداية ناشرون و موزعون، الأردن، 2014)، ص.73.

³ محمد عبد الله عودة و آخرون، مختصر التاريخ الإسلامي، (د ن عمان، 1989)، ص.134.

خوارق، وسيوفنا صواعق، وقلوبنا كالجبال، وعددنا كالرمال...، و قد سمعتم أننا فتحنا البلاد و طهرنا الأرض من الفساد، و قتلنا معظم العباد فما من سيوفنا خلاص، و لا من مهابتنا مناص".¹

و ما إن تلقى الملك المظفر قطز هذه الرسالة من هولاء حتى عقد العزم على التوجه لملاقاة هذا المغرور، و مقاومته مهما كانت التضحيات مدفوعا بقوة إيمانه بالحق سبحانه و تعالى دفاعا عن الإسلام، إذ أن الخاقان المغولي منكو قآن قد توفي إبان هذا مما دعى بهولاءكو بجزء من قواته يتجه إلى الشرق تاركا ساحة المعركة مع بقية قواته تخوض غمار الحرب ضد المماليك و على رأس القوات الماغولية في عين جالوت " كاتبيغا" القائد الماغولي² و صل قطز إلى عين جالوت قرب بيسان في فلسطين، فرتب الجيش ، و وضع كميناً لمفاجأة المغول و عندما علم كاتبيغا بوصول قطز عين جالوت قرر منازللة المسلمين على مضض، إذ كان راغبا الإنتظار حتى يعود هولاءكو³، حيث تقابل الفريقان عام 658هـ / 1260م في معركة حامية الوطيس، إنتصر فيها المسلمين على أعدائهم بعد أن إشتدت هجمات المغول و أظهر المسلمون شجاعة منقطعة النظير أثناء المعركة، و لما رأى السلطان قطز قوة باس المغول بحوزته عن رأسه الى الأرض، و صرخ بأعلى صوته و إسلاماه عندئذ تارت حماسة خبره ، و حمى و طيس المعركة، و إنتصر المسلمون إنتصارا رائعا و فرقوا عددهم كل ممزق و خر كاتبيغا قائد المغول صريعا في المعركة و لم ينج من المغول إلا من لاذ بالفرار ،

¹ عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، موسوعة الثقافة التاريخية و الاثرية و الحضارية التاريخ الإسلامي التطور التاريخي للدولة الإسلامية، (دار الفكر العربي، القاهرة، 2008، مج 2)، ص.47.

² نفسه، ص. 48.

³ محمد عبد الله عودة و آخرون، مرجع سبق ذكره ، ص.135.

و فروا لا يلوون على دار و لا يركنون إلى قرار¹ و لأول مرة يلقي المغول من يصددهم و يهزمهم هزيمة ساحقة ، و في يوم واحد إنقلبت الأوضاع² و يعطل المؤرخون إنتصار المغول إلى العوامل التالية:

- صدق المسلمين في قتالهم و قوة إيمانهم.
 - خطة قطز القتالية البارعة ، و حسن إستخدامه للكمين الذي فاجئ الجيش المغولي .
 - ضعف معونات الجيش المغولي لغياب قائده العام هولاکو، و تردد كتيبغا في منازلة المسلمين.
 - طول خطوط مواصلات المغول و بعدهم عن حاضرة بلادهم في قلب آسيا³.
- لقد قاتل سيف الدين قطز قتالا عظيما و قاتل معه الامراء المماليك حتى النصر، حيث تعتبر موقعة عين جالوت من الوقائع الحاسمة في التاريخ⁴.
- و من الأسباب التي أدت إلى هذه المعركة ما يلي

1. كان التحدي المغولي و محاولة احتلال بلاد الشام و مصر سببا مباشرا لحدوث هذه المعركة .

2. رسالة التهديد التي أرسلها هولاکو إلى السلطان المظفر قطز.

¹ عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، مرجع سبق ذكره ، ص.135

²أسامة أبو طالب، مرجع سبق ذكره،ص.73.

³محمد عبد الله عودة و آخرون، مرجع سبق ذكره ، ص.ص.135.136.

⁴أسامة أبو طالب، مرجع سبق ذكره،ص.73.

3. حدوث تعاون بعض الإمارات الأرمنية و الصليبية مع المغول مما كان له أثر مباشر و مهم لقيام تحد من نوع آخر خوفا من إستفحال أمره أو حدوث تحالف آخر قد ينهي الوجود السياسي الإسلامي في المنطقة

4. قطع الطريق أمام المتخاذلين من قادة الجيش المصري و وضعهم في المكان الصحيح لهم وهو القتال الذي وجدوا من أجله وهو الدفاع عن ديار الاسلام.

5. وضع حد بعمل عسكري كبير ضد المغول لكي يوقفهم عند حدهم بعد ان إعتقدوا ان قوتهم لا تقهر، و أنهم غضب من الله مسلط على الناس و خاصة المسلمين اللذين عليهم بقبول هذا الواقع المر.

6. إظهار دعوة الجهاد لدى المسلمين بعد أن خفت بهاؤها منذ زمن طويل، و وضع المسلمين أمام واجبهم وجعل الجهاد فرض على كل مسلمة ومسلم، فكيف يرضى المسلمون بالمهانة والمذلة و أسباب النصر موجودة و القيادة موجودة و المال للجهاد مبدول.

7. صعب على بعض قادة الجيش المملوكي رؤية مصر خاضعة للمغول الكفر.¹

وقد ترتب عن هذه المعركة عدة نتائج أهمها:

1. أعادت هذه المعركة الثقة إلى نفوس المسلمين فرغم أن المغول قد جمعوا قواتهم مرة ثانية قرب بيسان، إلا أن الهزيمة حلت بهم مرة ثانية وشجعت الخائفين الذين كانوا مترددين أو خائفين من المغول على التمرد عليهم. قام السلطان قطز بإرسال البشارة الى أهالي دمشق بالنصر على المغول فهرب من كان بها من مغول وتعقبهم الناس وقتلهم

¹ فوزي أمين يحيى، وآخرون، تاريخ الدولة العباسية العصر العباسي الثاني، (دار الفكر ناشرون و موزعون، عمان، 2010، ج2)، ص.140.

شر قتلة وقام السلطان قطز و سكان دمشق بقتل كل من وقف الى جانب المغول أعداء الإنسانية ولقنوا من تعاون معهم من أهل الشام عامة ودمشق خاصة ما يستحقونه من عقاب الخيانة و معاونة الأعداء المغول.

2. أكدت هذه المعركة قوة و قدرة المسلمين إذا ما توحّدوا و رفعوا شعار لا إله إلا الله محمد رسول الله، و كلما إزداد إيمان المسلم بالله و أخذ بالأسباب نصره الله نصراً مؤزراً.

3. شكّلت هذه المعركة سداً منيعاً أمام المغول للتقدم غرباً صوب مصر و بذلك نجت الديار المصرية الأراضي الواقعة خلفاً للدمار¹

5. جاءت هذه المعركة بنتيجة عكسية ، فلو إنتصر المغول لقضى على البقية الباقية من دول الإسلام في الشام و مصر و لتحالفت القوى المعادية للإسلام مع المغول.

6. أعادت هذه المعركة الوحدة إلى بلاد الشام و مصر و عادت هذه البلاد إلى عصر نور الدين محمود و صلاح الدين الأيوبي و أزالّت نتائج هذه المعركة كل المتعاونين من بقايا البيت الأيوبي من اللذين كانت تهمهم مصالحهم الخاصة أكثر من مصالح المسلمين .

7. علّمت هذه المعركة المسلمين التآزر و لم الشمل و لم تقف النتائج على المسلمين بل تعدتها إلى أوروبا و إعترف المؤرخين الأوروبيين بأهميتها وقبل غيرهم حيث وقفت هذه المعركة بوجه المغول و منعتهم من غزو أوروبا و تدميرها و بذلك نجت أوروبا من الدمار الذي أصاب العالم الإسلامي بفضل المسلمين.

8. توطدت العلاقة بين مسلمي القبجاق (مغول القبيلة الذهبية) و بين مماليك مصر و تحالفوا ضد مغول العراق و إيران بزعامة هولاکو و حلفائه.²

¹ فوزي أمين يحيى، واخرون ، مرجع سبق ذكره، ص.143 .

² نفسه، ص.143.

2- معركة مرج الصفر:

لم تقف قوات الناصر محمد بن قلاوون مكتوفة الأيدي إزاء هذا الغزو المغولي المخرب، فخرج السلطان بنفسه على رأس جيش كبير قاصدا الشام في العام التالي و دخل دمشق و ما إن علم غازان بذلك التحرك حتى عاد من بلاده إلى الشام لإستعادة دمشق. و دارت معركة عنيفة حاسمة بين قوات غازان المغولية و قوات المسلمين عند منطقة مرج الصفر قرب دمشق، هزمت فيها القوات المغولية هزيمة كبيرة لا تقل في حجمها و نتائجها و عدد قتلاها و أسراها عن هزيمتهم في عين جالوت.¹

و لما بلغ غازان خبر هزيمة جيوشه إغتم غمّاً شديداً و خرج من أنفه دماً كثيراً، و إحتجب عن حواشيه حتى شارف على الموت و مات كمدأ بمدينة الري سنة 703هـ-1302م و تولى الملك بعده اخوه محمد بن ابغا بن هولاکو.²

هذا و لم يستطع السلطان الناصر محمد بن قلاوون و هو لا يزال شاباً، التصدي لمؤامرات كبار أمراء المماليك الطامعين في الحكم و السلطنة لذلك، كانت سلطنة الناصر محمد الثاني سلطنة شكلية، وكان حكم البلد في الواقع بيد كبار المماليك سلار و بيبرس الجنكيز اللذين ضيقا على السلطان الخناق و حال بينه و بين ممارسة الحكم الفعلي للبلاد. وقد ضاق صدره و صار في غاية الحصر من تحكم بيبرس الجنكيز و سلار عليه و عدم تصرفه في الدولة في كل ما يريد حتى أنه لا يصل إلى ما تشتهي نفسه من المآكل لقلة المرتب له.فلولا ما كان يتحصل له من أملاكه و أوقاف أبيه لما وجد سبيلاً لبلوغ بعض أغراضه و طال الأمر عليه سنين فأخذ في عمل مصلحة نفسه و أظهر أنه يريد الحج بعياله و حدّث بيبرس و سلار في ذلك يوم النصف من شهر رمضان فوافقا على ذلك³

¹ عطية القوصي، مرجع سبق ذكره،ص.24 .

² نفسه،ص.24 .

³ نفسه،ص.24 .

المبحث الثالث: خصائص الممالك البحرية:

لابد من الوقوف على عدة صفات تميز بها هذا العصر، و الصفة الأبرز منها كانت حالة الانقلابات السياسية و العسكرية و إغتصاب منصب السلطنة، حتى أصبح هذا الأمر مألوفاً ، فما إن يشعر أحد الأمراء بضعف السلطان أو صغره حتى ينقض عليه و يسلبه منصب السلطنة، و لذلك أنتهى حكم الكثير من السلاطين بالقتل كما حدث مع الأشرف شعبان على سبيل المثال، أو بالقبض عليه و سجنه كما حدث مع المظفر بيبرس، أو بالفرار من وجه المستولي الجديد على السلطة و أنصاره كما حدث مع زين الدين كتيبا المنصوري، إلى غير ذلك من الأساليب التي لم تجعل تولي الحكم وفقاً لحق شرعي موروث، وإنما يكون بتولي أمير يتميز بالذكاء و القوة و الشجاعة مع كثرة مماليكه فإذا توفي سلطان فإن الأمير الأقوى هو صاحب الفرصة الأكبر في الوصول إلى العرش.

و من ناحية ثانية فإن على السلطان إذا ما أراد أن يحتفظ بالسلطنة أن يقتل و يخنق و يسجن، أو أن يتقرب من كبار الأمراء و يوزع عليهم الإقطاعات و الوظائف، أو أن يلجأ إلى إسكان كبار الأمراء في القلعة ليكونوا تحت نظره.¹

و برز في ذلك العصر أيضا موضوع وراثة العرش، مثلما فعل السلطان الناصر محمد بن قلاوون البيعة لولده ابي بكر المنصور قبل أن يموت ووصل ثمانية من أولاده الذكور إلى السلطة و هذا لا يعني أن هناك نظاماً وراثياً متبعاً، و إنما يعد ما حصل وضعاً شاذاً في تاريخ دولة المماليك ، لانهم لم يؤمنوا مطلقاً بمبدأ الوراثة في الحكم، و ذلك لأسباب تعود إلى طبيعة نشأتهم منذ صغرهم، أي منذ أن كانوا رقيقاً بين أيدي أسيادهم، فقد نشأت بينهم على إختلاف أصولهم رابطة الأستاذية و الخشداشية، و تعني رابطة الأستاذية الرابطة التي تربط المملوك بسيده الذي إشتراه رقيقاً منذ صغره ثم تعهده بالتربية حتى كبر و أعتقه اما الخشداشية وتعني

¹ إيناس حسني البهجي ، مرجع سبق ذكره، ص.67 .

الزمانة و ما هناك من عاطفة بين مجموعة من المماليك نشوء في كنف أستاذ واحد و نسبوا إليه كمماليك الظاهرية نسبةً إلى الظاهر و غيره فصاروا كالأخوة يربط بينهم أب واحد فطبيعة المماليك هذه من حيث الأصل و التربية و النشأة جعلتهم يشعرون بالمساواة فيما بينهم، بحيث لا تكون ميزة أو فضل لأحدهم على الآخر فجميعهم كانوا رقيقا جيء بهم من بلاد بعيدة و تمت تربيتهم و تدربوا حتى ظهروا على سطح الأحداث و هذا الإحساس بالمساواة انعكس على نظام الحكم طوال عصر المماليك، فأمن كل واحد منهم بأن له الحق في تولي منصب السلطنة، و هذا ما دفعهم إلى إنكار مبدأ الوراثة.¹

و من الممكن أن نستنتج سببا آخر لذلك غير التساوي في الأصل و التربية و النشأة، و هو تقارب قوة المماليك و وزنهم في الهرمية العسكرية، فهذا السبب لم يمكنهم من أن تخرج من اوساطهم ملكية وراثية، ثم إن الملك إذا وصل إلى السلطنة بفضل ذكائه و قوته و الظروف المناسبة رضي به المماليك مختارين او مجبرين فلا مسوغ للخضوع لأبنه من بعده² و قد ترتب على إخفاق مبدأ الوراثة آثار إيجابية و أخرى سلبية ، فقد أدى إخفاقه إلى عدم وصول أطفال أو فتيان إلى السلطة على الأغلب ، كما أنه لم تكن هناك حقوق ملكية و وراثية تفرض تولية أبناء السلطان على بعض الأقاليم أو النواحي، الأمر الذي من الممكن ان يؤدي إلى إنقسام الدولة إلى دويلات و من ثم الضعف و التشتت ثم سقوط السلطنة ، أما الأثر السلبي لفقدان نظام ثابت لتولي منصب السلطنة في عصر المماليك، و تطلع كل أمير من أمرائهم إلى ذلك المنصب بوصه حقا مشروعاً له.³

¹ إيناس حسني البهجي ، مرجع سبق ذكره ،ص.75 .

² نفسه، ص.76 .

³ نفسه.77 .

الفصل الثاني:

الممالك البرجية في مصر

❖ المبحث الأول: الممالك البرجية ونشأتهم 784هـ - 923هـ / 1382م -

1517م

❖ المبحث الثاني: نماذج عن معارك الممالك البرجية

❖ المبحث الثالث: خصائص الممالك البرجية

❖ المبحث الرابع: سقوط دولة الممالك

المبحث الأول: الممالك البرجية ونشأتهم 784هـ - 923هـ / 1382م - 1517م:

الدولة المملوكية الشركسية هي الفرع الثاني للدولة المملوكية في مصر، قامت على أنقاض دولة المماليك البحرية ودعيت بهذا الاسم نسبة الى منشأ سلاطينها فأغلبهم من الشعب الشركسي، اقتنى منهم سلاطين الدولة البحرية عددا كبيرا، ونظرا لكثرتهم سكنوا الأبراج قلعة الجبل التي لقبوا بها¹، لآكن هناك رأي ثاني يقول ان أبراج القلعة كانت للحراسة وليست للسكن وأنهم كانوا ينتسبون الى قبيلة "برج" الشركسية التي يقال أن السلطان منصور قلاوون كان من المماليك البحرية كان في الأصل منها، وتسمى الشركسية لأن ممالكها كانوا من الشركس سكان المرتفعات الجنوبية في بلاد القبحاق² الذين عاشوا على أراضي شمال القوقاز الممتدة من البحر الأسود الى بحر الخزر (قزوين) وهم ثلاثة وعشرون سلطانا³.

بعد أن استمرت سلطنة القلاوون 103 سنين، تأسست دولة الجراكسة بتتصيب الأتابكي⁴ برقوق الذي لقب بالظاهر سيف الدين أبي سعيد سنة 784هـ، وفي سلطته قبض على الخليفة المتوكل في سنة 785هـ/1383م وخلعه وسجنه وباع الخليفة الواصل بالله عمر ثم عزله في سنة 788هـ/1386م وعين أخاه زكرياء إبراهيم وعزله سنة 791هـ/1389م وأعاد الخليفة المتوكل ثانية سنة 791هـ/1389م وبعد ذلك بشهر خلع الأمراء الظاهر

¹ ريهام المستادي، "تاريخ التجارة العربية الإسلامية: بغداد، القاهرة"، مجلة كان التاريخية، العدد 06، دار ناشري للنشر الالكتروني، القاهرة، 2009، ص80.

² محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، (دار النفائس للنشر والتوزيع، لبنان، 1997) ص351.
³ خيرى أورصوى وآخرون، تاريخ الشراكة الأباضية، تر: فؤاد أحمد كامل (المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2016) ص15.
⁴ الأتابك: من الألقاب الرفيعة للأمراء ومعناه وصي أو رئيس وزارة، وقيل هو اللقب الذي كان يلقب به الوزراء في الدولة السلجوقية،

أنظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مر: عبد الرزاق محمد حسن بركات (مكتبة الملك فهد الوطنية، ط3، الرياض 2000)، ص25.

برقوق ثم استرجع سلطانه ودخل القاهرة سنة 792هـ/1390م وبقي في السلطة الى أن توفي سنة 801هـ/1399م وتولى من بعده ابنه الملك الناصر زين الدين أبو السعادات فرج¹.

وفي مدته وصل² تيمور لذك الى بلاد الشام وفتح حلب ودمشق وارتكب فيهما أفضع الجرائم وانتصر على السلطان بايزيد العثماني ابن مرآء وفي سنة 808هـ توفي الخليفة محمد المتوكل، وبعد ذلك بقيت السلطة متداولة في أيدي العديد من السلاطين فمنهم من سجن ومنهم من خلع، ومن بين أشهر السلاطين الذين تولوا السلطة الملك الجركسي الأصل قيتباي سنة 872هـ/1467م³، الذي لقب بالملك الأشرف أبي النصر سيف الدين، حيث عرفت الدولة في عهده هدوءاً واستقراراً وطالت مدته نحو ثلاثين سنة أنشأ في أثناءها كثيراً من المدارس والجوامع ببلاد مصر والشام ومكة والمدنية، وتوفي سنة 901هـ/1496م ودفن بالجامع الذي أنشأه بالقرافة وفي عهده توفي الخليفة المستجد وتولى من بعده عبد العزيز بن يعقوب بن محمد المتوكل ولقب المتوكل على الله وتوفي سنة 903هـ/1496م وبويع ابنه يعقوب ولقب بالمستمسك بالله أبو الصبر، وفي خلافة عبد العزيز توفي السلطان الأشرف، وتولى ابنه محمد بن قيتباي ولقب بالملك الناصر وقد اشتدت في عهده الفتن والصراعات وانتهت بمقتله سنة 904هـ ثم تولى مكانه قانصوه الأشرفي ولقب بالملك الظاهر أبي سعيد واستمرت الفتن في عهده، ثم خلع سنة 905هـ وتولى جان بلاط الجركسي ولقب بالملك أبي النصر، ولكنه سرعان ما ثار عليه طومان باي العادل، ثم ارسل جان بلاط الى سجن الإسكندرية الى أن خنق بأمر العادل سنة 906هـ-1501م وفي سنة 906 حصلت فتنة بين

¹ طالبي الأعرج بن الشيخ، مرجع سبق ذكره، ص 93.

² تيمور لذك: كان ينتمي الى بيت من أشرف التتار، ولد في مدينة سمرقند سنة 1336م وكان من أعظم قادة العالم العسكريين وقد اشتهر بالعنف والتخريب وقد توفي بالقرب من بلدته سنة 1405 بينما كان ينوي غزو الصين أنظر: قاسم عبدة قاسم وآخرون، الأيوبيون والمماليك التاريخ السياسي والعسكري، (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1998) ص 211.

³ تقي الدين أحمد بن علي المقرئ، مصدر سبق ذكره، ص 140.

طوائف المماليك، ففر طومان باي واختفى ثم ضبط وقتل وعقب فراره تولى الأمير قانصوه الغوري وتلقب بالملك الأشرف¹.

وهو العشرون من ملوك الجراكسة وأولادهم في مصر، كان أصله جركسي الجنس من ممالك الأشرف قايتباي وأعتقه² وفي عهده عزل الخليفة المستمسك بالله يعقوب سنة 921هـ/1515م وبويع ابنه محمد ولقب بالمتوكل على الله وهو آخر خلفاء بني العباس في مصر، وفي خلافته وقعت معركة محتدمة بين السلطان العثماني الغازي سليم والمماليك بمرج دابق سنة 922هـ/1516م فانتصر العثمانيون وقتل الملك الأشرف، فلما وصل الخبر الى مصر انتخب المماليك طومان باي الثاني خلفا له فلما تم للعثمانيين فتح مصر انضم طومان باي مقاومة عنيفة ولكنه لم يلبث ان وقع في ايدي العثمانيين فأمر السلطان بقتله سنة 923هـ/1517م فكان آخر المماليك وبذلك استتب الملك لدولة بني عثمان وأصبحت الإمبراطورية العثمانية الدولة الوحيدة التي تحكم بلاد العرب شرقا وغربا³.

¹ محمد فريد بيك المحامي، تاريخ الدولة العليا العثمانية، تح: احسان حقي، (دار النفائس، 1981)، ص ص 91، 96.

² حمدي عبد المنعم محمد حسين، مرجع سبق ذكره، ص 369.

³ محمد فريد بيك المحامي، مصدر سبق ذكره، ص 96، 97.

المبحث الثاني: نماذج عن معارك المماليك البرجية:

1- معركة مرج دابق: لقد جرت معركة فاصلة بين عساكر الغوري والعثمانيين بمرج دابق بجوار حلب في يوم الأحد 25 رجب سنة 922هـ الموافق لـ 24 أغسطس 1516م، ولما تولى السلطان سليم الأول العثماني واستقل بحكم الدولة العثمانية التجأ أحد اخوته الى السلطان الغوري بمصر واستأجره فقبل اجارته، ثم ان السلطان العثماني بعث الى السلطان الغوري يطلب رد أخاه اليه فأبى الغوري ذلك، ومن هنا بدأت العداوة بين الغوري وسليم الأول، وكذلك من أسباب العداوة أن السلطان سليم حين قام بغزو الفرس في عهد شاه إسماعيل وعاد بجنوده الى البيرة لم يرحب نائب البيرة علاء الدين-وهو يتبع مصر بالعثمانيين- فمات ضد العثمانيين الكثير من الناس و لما وردت الأخبار للسلطان العثماني أراد أن يبعث بحملة لتأديب هذا النائب¹.

فبعث السلطان سليم الى السلطان الغوري يبلغه ما حدث، فرد عليه الغوري بقوله أن علاء الدين عاص أمري، فان قدرت عليه فأقتله، الا أن السلطان الغوري أخذ يحرض علاء الدين على العثمانيين، وقد أدرك السلطان العثماني بأنها خديعة فأضمر في نفسه شيء، وفي رجب عام 922هـ/ 1516م خرج السلطان الغوري من حلب متجه الى جيلان، وفي اليوم التالي وصل السلطان من جيلان الى مرج دابق فأقام فيها الى اليوم 25 رجب، وفي مرج دابق فاجأته الجنود العثمانية² وهناك نشبت المعركة حاسمة بين الطرفين التي قررت مصير سوريا كلها، وأبدى المماليك في هذه المعركة ضروبا من الشجاعة والبسالة، وقاموا بهجوم خاطف زلزل أقدام العثمانيين، وأنزل بهم خسائر فادحة حتى فكر السلطان سليم في التقهقر وطلب الأمان غير أن هذا النجاح في القتال لم يدم طويلا فسرعان ما دب الخلاف

¹ محمود السيد، تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها، (مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2004)، ص.ص 80، 81.

² نفسه، ص.ص 83، 84.

بين فرق المماليك المحاربة حيث انقلب جون بوردي الغزالي على المماليك، وانضم هو وفخر الدين الى قوات السلطان سليم فقاتلا معه وبذلك رجحت كفة العثمانيين على كفة قنصوى الغوري، وكان لسلاح المدفعية الذي غرزه العثمانيين وأهمله المماليك كبير الأثر في نصر العثمانيين¹ وماهي الا جولة واحدة وتشتت الجيش المملوكي وسقط السلطان الغوري من فوق حصانه من هول الصدمة وضاعت جثته بين الاف الجثث، وقيل أن أتباعه عندما وجدوه ساقط على الأرض قطعوا رأسه وألقوا به في البئر حتى لا يجده العثمانيين وتعود أسباب الانكسار المملوكي في هذه الواقعة الى العوامل التالية:

1- استخدام الجيش العثماني السلاح الناري اليدوي مثل بنادق مقابل تمسك المماليك بسلاحهما التقليدي.

2- نقشي الخيانة من طرف نائب مدينة حلب خيرى بك الذي انضم الى صفوف الجيش العثماني أثناء المعركة بعد أن كان الى جانب الجيش المملوكي وهذا ما أحبط من معنوياته.

3- فقدان الجيش المملوكي لسند شعب يسانده ويدعمه ويكون له عون في هذا النوع من الحالات العصيبة².

4- حرص السلطان الغوري على سلامة ممالিকে وتخصيصهم لحمايته حيث لم يدفع بهم الى القتال وكانت النتيجة أن تقاس هؤلاء المماليك في خوض غمار المعركة³.

وقد ترتب عن هذه المعركة ثلاث نتائج مهمة:

¹ منصور عبد الحكيم، الدولة العثمانية من الامارة الى الخلافة، (دار الكتاب العربي، ط3، القاهرة، 2013)، ص208.

² الغالي الغربي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي 1288-1916م، (ديوان المطبوعات الجامعية،

الجزائر، 2007)، ص. ص. 60، 61.

³ الغالي الغربي، مرجع سبق ذكره، ص61.

1- رفع المعنويات العسكرية والنفسية للعثمانيين لمواصلة حملتهم القضاء على الدولة المملوكية.

2- تأمين السيطرة على بلاد الشام وفتح طريق مصر والحجاز في الوقت نفسه أمام العثمانيين.

3- شكلت عاملا لاستكمال وحدة الأناضول¹.

2- معركة الريدانية:

بعد هزيمة السلطان قنصوى الغوري في بلاد الشام ومقتله في موقعه مرج دابق اختار المماليك في القاهرة طومان باي-ابن أخ الغوري-سلطانا جديدا على مصر حيث قام بالعمل على جميع بقية الجيش وإعادة تنظيم صفوفه استعدادا للمعركة الفاصلة مع العثمانيين، وعندما كان سليم في دمشق أرسل رسالة الى السلطان طومان باي يطلب منه أن يأتي هو ومن معه الى قصره ليعلن الولاء والطاعة وبطمئنه على مستقبله ولن يجد سليم مفرا من اكمال مهمته بعد رفض طومان باي لمطالبه الخاصة، خاصة تسليمه مصر²، وقد حذر سليم طومان باي من مغبة الوقوع فيما وقع فيه سلفه قونصوى الغوري، وكان طومان باي وأمراء مصر يعتقدون أن احتلال بلاد الشام من قبل العثمانيين لن يدوم طويلا وأن سليم لن يستطيع الوصول الى مصر وأنه سيرجع بقوته من بلاد الشام مثل المغول وستتم استعادة بلاد الشام بعد مغادرة السلطان الى الأناضول، وقد بذل طومان باي ايان سلطنة التي لم تدم أكثر من ثلاثة أشهر كل ما في وسعه لتنظيم قواته للدفاع، فاشترى قدرا من البنادق والمدافع من البندقية وأقام خط دفاعي عند الصالحية لعرقلة الزحف العثماني وقد أيد المصريون طومان باي في استعداده لصد العثمانيين، وقد تقدم سليم بجيشه عبر سيناء حتى بلغ

¹فاضل بيات، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، (دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002)، ص63.

²زين العابدين شمس الدين نجم، تاريخ الدولة العثمانية، (دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط2، عمان، 2014) ص156.

مشارف القاهرة في شهر يناير 1517، ورغم التحصينات المنيعة التي أقامها طومان باي عند مداخل القاهرة إلا أنها لم تصمد طويلا أمام مدفعية العثمانيين القوية، وفي يوم 22 يناير 1517 نشب القتال بين الطرفين، وفي أثناء¹ القتال قصد طومان باي وبعض رجاله مركزا السلطان سليم وقتلوا من حوله، وأسروا وزيره سنان بيك وقتله طومان باي ظنا منه أنه هو السلطان سليم، وفي 23 يناير 1517 تمكنت القوات العثمانية من هزيمة القوات المملوكية في معركة الريدانية قرب القاهرة حيث قتل منهم 25000 شخص حصدتهم الأسلحة النارية العثمانية، وقام بعضهم بتسليم أنفسهم الى السلطان سليم الذي اتخذ من بولاق مركزا لقيادته بعد أن تسلم مفاتيح القلعة، ولم يتسرب اليأس الى قلب طومان باي حيث بذل أقصى جهده للدفاع عن البلاد وحدث قتال عنيف في شوارع القاهرة لمدة 3 أيام، وظفر طومان باي ببعض انتصارات محلية مؤقتة ولكن دون جدوى، وقد ألحقت هذه المقاومة الشعبية الشديدة بقيادة طومان باي خسائر فادحة بالعثمانيين، حتى أن السلطان سليم خدم على مجيئه الى مصر وقد حاول وقف القتال وعرض على طومان باي حكم الصعيد تحت السيادة العثمانية ولكن طومان باي رفض هذا العرض أملا في انقاذ البلاد، وقد دارت معركة في أبريل 1517 في منطقة الجيزة، ولما انتهى القتال بهزيمة المماليك اضطر المماليك الى الفرار الى دلتا حيث التجأ الشيخ حسن مرعي أحد مشايخ عربان البحيرة فأظهر له الصداقة ثم سلمه الى السلطان سليم الذي استقبله استقبالا عظيما، حيث كان السلطان سليم معجبا بشجاعة طومان باي وذكائه حيث لم يرد قتله بل نفيه فقط، لكن لولا تحريض خيرى بيك والغزالي حيث أوغر صدره عليه فأمر سليم بإعدامه شنقا على أحد أبواب القاهرة² عند باب زويلة ليكون عبرة لغيره من المماليك، وهكذا بموت طومان باي انقرضت دولة الجراكسة

¹ زين العابدين شمس الدين نجم، مرجع سبق ذكره، ص158.

² نفسه، ص159.

بمصر¹ والحقيقة أن معركة الريدانية من المعارك الحاسمة في تاريخ مصر وأصبحت بداية النهاية للدولة المملوكية لتبدأ حقبة جديدة تنتقل من دولة مستقلة لها ملحقاتها خارج أراضيها الى ولاية تابعة الى دولة أخرى وبالتالي سقوط الدولة المملوكية وقيام دولة جديدة وهي الدولة العثمانية².

¹ إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية العلية التحفة الحليمة، (مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1988)، ص 84.

² فاضل بايات، مرجع سبق ذكره، ص 78.

المبحث الثالث: خصائص المماليك البرجية:

قامت الدولة البرجية على أسس تخالف الأسس التي قامت عليها دولة المماليك البرجية وان اشتركت معها في بعض اتجاهاتها ويتضح ذلك من خلال الحقائق التالية:

- من أهم الخصائص التي تميزت بها هذه الدولة بأن معظم سلاطينها كانوا من الجراكسة ولم تشيد عن هذه القاعدة سوى اثنين من السلاطين هما خشقدم وتمريغا اللذان كانا من أصل يوناني بمعنى أن حكام هؤلاء الدولة اتخذوا العصبية العنصرية سلاحا لإزاحة دولة المماليك البحرية¹.

- تركز وظائف الحكم والإدارة العليا في أيديهم، فكان السلطان يختار لهم أعلى الوظائف قدرا وأكبرها اقطاعا حتى يضمن رضاهم وولاءهم.

- حياة المماليك كانت تحكمها المنافسة الدموية كطريق يعترف به الجميع للوصول الى العرش وكان حصاد هذه الروح التنافسية القائمة على القوة والدم سلسلة من المتاعب والمنازعات كانت تفرض نفسها على الحياة المصرية كلما جلس على العرش سلطان ضعيف أو سلطان طفل².

- جعل العرش المملوكي مشاعا بين القادرين من أمراء المماليك، ففي حين نجح مبدأ الوراثة في فترات متعددة خلال تاريخ دولة المماليك البحرية والذي ظهر بوضوح في أسرة قلاوون فقد غلب على دولة المماليك البرجية قلة احترام هذا المبدأ بحيث لا نجد أثرا عندهم الى في حالات نادرة حتمتها واقعية الظروف السياسية، ذلك أنه اذا استطاع السلطان الاحتفاظ بمنصبه حتى الوفاة فان ابنه كان يخلفه عادة ولكن لعدة أشهر فقط وهذا مرهون بقوة شخصيته وكثرة أنصاره، فكان ابن السلطان المتوفي ينصب على العرش حتى تتجلى

¹ سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، مرجع سبق ذكره ص247.

² قاسم عبد القاسم واخرون، الأيوبيين والمماليك عسكريا وسياسيا، مرجع سبق ذكره، ص202.

صورة الوضع السياسي عن شخصية بارزة وقوية تستطيع الاستيلاء على العرش، واختيار ابن السلطان يتم عن ايمان الأمراء بمبدأ الوراثة، وانما كحل مؤقت حتى تتضح صورة الوضع السياسي¹.

هذا هو المبدأ والقاعدة في تاريخ المماليك عامة وتمسكوا به منذ قيام دولتهم، غير أن البرجية كانوا أكثر حرصا على تطبيقه ولذلك نجد أن مدة بقاء ابن السلطان المتوفي على العرش كانت أطول في الدولة البحرية منها في الدولة البرجية باستثناء سلطنة فرج بن برقوق، أما بقية أبناء السلاطين فتراوحت مدة سلطتهم بين ست سنوات وأربعة أشهر بحيث بلغ حكم هؤلاء في الدولة الثانية ست وعشرين عاما في حين ارتفع هذا العدد الى ثمانية وخمسين عاما في الدولة الأولى.

➤ تدبير المؤتمرات واحداث الفتن للوصول الى الحكم ولا شك أن البلاد عانت كثيرا نتيجة المنازعات المستمرة بين طوائف المماليك وفرقتهم، ومما زاد الأوضاع خطورة عجز السلاطين عن كبح جماح مماليتهم مما حملهم على ضرب طوائف المماليك بعضها ببعض حتى تخلو لهم الساحة السياسية.

➤ عمل سلاطين المماليك البرجية على حصر هذه المنازعات في دائرة ضيقة بحيث لم يمكنوا قوة خارجية من التدخل في شؤون البلاد.

➤ عناية أكثر سلاطين المماليك بالأدب ومجالس العلم كما بالغ بعضهم في العناية بإنشاء المؤسسات الخيرية من مساجد ومدارس ومستشفيات وغيرها.

➤ عدم الالتفات الى رغبات السكان في شؤون السلطنة من حيث اختيار السلطان و تعيينه².

¹ محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، مرجع سبق ذكره، ص351.

² نفسه، ص352.

المبحث الرابع: سقوط دولة المماليك:

لم يكن من المتوقع سقوط المماليك بهذه الصورة السريعة في معركتين متتاليتين هما معركة مرج دابق والريدانية، لم يكن من السهل احتلال الشام ثم مصر في هذه الفترة الوجيزة، لكن من الواضح أن السلطنة المملوكية كان قد نخر السوس في أوصالها الى أبعد مدى، حيث تعود الأسباب التي أدت الى هزيمة المماليك وانتهاء دولتهم وانتصار العثمانيين وعلو نجمهم الى:

- 1- طمع المماليك وشجعهم: والذي أدى في النهاية الى انقضاض أهل البلد المصريين عنهم، حيث أن سكان الشام خاصة عملوا على مساندة العثمانيين¹.
- 2- التفوق العسكري لدى العثمانيين فسلح المدفعية المملوكي كان يعتمد على مدافع ضخمة ثابتة لا تتحرك، في حين كان السلاح المدفعية العثماني يعتمد على مدافع خفيفة يمكن تحريكها في كل الاتجاهات.
- 3- سلامة الخطط العسكرية العثمانية، فرغم قطع العثمانيين لمسافات طويلة في سرعة اضطروا اليها ومحاربتهم في أرض عدوهم ومباعاتهم للمماليك كل ذلك كان مما يدخل في عوامل النصر ومن سلامة التخطيط أيضا.
- 4- معنويات الجيش العثماني العالية، وتربيته الجهادية الرفيعة واقتناعه بأن حرية عادلة بعكس القوات المملوكية التي فقدت تلك الصفات.
- 5- حرص الدولة العثمانية على الالتزام بالشرع في جميع نواحي حياتها واهتمامها البالغ بالعدل بين رعايا الدولة بعكس الدولة المملوكية التي انحرفت على الشريعة حيث مارست الظلم على رعاياها.

¹ أحمد سالم، استراتيجية الفتح العثماني، (مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2012) ص168.

- 6-قناعة مجموعة قيادية من أمراء المماليك بالانضمام الى جيش السلطان سليم وكان مستعدين للتعاون مع الدولة العثمانية وتحمل مسؤولية الحكم تحت إطار الحكم العثماني ومن أمثال هؤلاء جان بوردي الغزالي وخيري بيك¹.
- 7-كثرة الفتن والقلقل والاضطرابات بين المماليك حول ولاية الحكم مما أدى الى عدم استقرار الحكم في أخرج الأوقات.
- 8-كره الرعايا للسلطين المماليك الذين كانوا يشكلون طبقة أسطرقراطية مترفعة منعزلة عن الشعوب.
- 9-سوء الأحوال الاقتصادية وبخاصة عندما تغيرت طرق التجارة المارة بمصر واكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح².

¹إبراهيم حسنين، سلاطين الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، (دار التعليم الجامعي، بيروت، 2014)، ص، ص. 228، 229.

²علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، (مكتبة حسين العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2010 ج1)، ص.269.

الفصل الثالث: المظاهر الحضارية

❖ المبحث الأول: الجانب الاجتماعي والاقتصادي

❖ المبحث الثاني: الجانب الديني والعلمي

❖ المبحث الثالث: المعماري

❖ المبحث الرابع: الجانب العسكري

المبحث الأول: الجانب الاجتماعي والاقتصادي

كان المجتمع في عصر المماليك مجتمعا طبقيًا، بمعنى أنه تألف من عدة طبقات متميزة بعضها عن بعض في خصائصها وصفاتها ومظاهرها، فضلا عن نظرة الدولة لها ومقدار ما تتمتع به من حقوق أو تنهض به من واجبات وفي ظل هذا التنظيم الطبقي يبدوا الفارق كثيرا بين الحكام والمحكومين، وبخاصة اذا كان الحكام اغراب عن البلاد وأهلها، لم تربطهم بأبناء مصر رابطة الدم أو الأصل أو الجنس، مما جعل المماليك لا يشعرون في كثير من الحالات بروح التجاوب مع الأهالي والعطف على مصالحهم والعمل من أجل رفاهيتهم¹.

والواقع أن المماليك حكموا البلاد دائما بوصفهم طبقة عسكرية ممتازة، استأثروا بالحكم وبشؤون الحرب، ونظروا الى الأهالي على أنهم أقل منهم درجة حيث لا يمكن لهم أن يشاركوا في الحياة الحربية، ونظروا الى الأهالي على أنهم أقل منهم درجة حيث لا يمكن لهم أن يشاركوا في الحياة في الحياة الحربية، وقد عني سلاطين المماليك عناية فائقة بمماليكهم وحرصوا على تربيتهم تربية سليمة، فاذا اشترى السلطان عددا من المماليك ارسلهم أولا لفحصهم للتأكد من سلامة أبدانهم، وبعد ذلك ينزل كلا منهم في طبقة جنسه بحيث لا يقيم في طبقة من الطباق المخصصة للمماليك بالقلعة الى المماليك ذوي الأصل المشترك أو المجلوبين من بلد واحد².

وإذا شب المملوك وادرك سن البلوغ بدأ تعليمه فنون الحرب والفروسية حتى اذا انتهت هذه المرحلة التعليمية خرج من الطباق وانتقل في أدوار الخدمة السلطانية، رتبة بعد أخرى حتى يصبح من الأمراء، وعندما يغادر المملوك الطباق تعطى له جامكية أو مصروف يبلغ

¹ سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، (دار النهضة العربية، ط2، القاهرة، 1976)، ص320.

² نفسه، ص321.

سنة دنائير في المتوسط، ولكنه سرعان ما ينتقل من الجامعات الى الاقطاعات والى امرة العشرات ثم الطبلخانات، وعندئذ يصبح الأمير سلطاناً¹.

والى جانب طبقة المماليك وجدت جماعة المعممين أو أهل العمامة، وهذه الطبقة كانت تشمل أرباب الوظائف الديوانية والفقهاء والعلماء والأدباء والكتاب وهذه الفئة امتازت طول عصر المماليك بمميزات معينة، على الرغم مما تعرض له أفرادها، ويبدو أن المماليك أحسوا دائماً بأنهم غرباء عن غرباء البلاد وأهلها، وبأنهم في حاجة الى دعامة يستندون اليها في حكمهم ويستعينون بها على إرضاء الشعب فلم يجدوا امامهم سوى فئة العلماء، بحكم ما للدين ورجاله من قوة وأثر فالمماليك احترمو العلماء ورجال الدين لأنهم قوة لها خطرهما في اكتساب الرأي العام في البلاد، ولأن بهم عرفوا دين الإسلام وفي بركتهم يعيشون، ومن جهة أخرى فان المعممين اعتدوا بمكانتهم في عصر المماليك فعمدوا أحيانا الى معارضة السلاطين في الحق².

أما التجار فكانوا يؤلفون طبقة مقربة أحيانا الى سلاطين المماليك، لأنهم أحسوا بأن التجار دون غيرهم هم المصدر الأساسي الذي يمدهم بالمال في ساعات الحرج والشدة وتدل جميع الشواهد التاريخية على أن التجار تمتعوا في عصر المماليك بثروات طائلة، وهذا أمر طبيعي في عصر كانت مصر حلقة النشاط التجاري بين الشرق والغرب، على أن كثرة الثروة عند التجار جعلتهم دائماً مطمع سلاطين المماليك، فأكثرنا من مصادرتهم بين حين واخر فضلا عن ائقالمهم بالرسوم الباهظة، لذلك لم يطمئن التجار في عصر المماليك على

¹ سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، مرجع سبق ذكره، ص 322.

² نفسه، ص 322.

أموالهم وتجارتهم بل كانوا يدعون على أنفسهم أحيانا أن يغرقهم الله حتى يستريحوا مما هم فيه من الغرامات والخسارات وتحكم الظلمة فيهم¹.

أما الفلاحون وهم السواد الأعظم من السكان فلم يكن نصيبهم في عصر المماليك سوى الإهمال والاحتقار، حتى أصبح لفظ "فلاح" في ذلك العصر مرادفا للشخص الضعيف المغلوب على أمره وزاد من حال الفلاحين سوى كثرة المغارم والمظالم التي حلت بهم من الولاة والحكام ليأخذوا منهم غير العادة أضعافا، كذلك فرض الولاة على أهل القرية نظام المسؤولية المشتركة في دفع الضرائب، حتى في حالة توزيع زمام القرية الواحدة بين عدة ملاك أو مقطعين اعتبر كل فلاح بالنسبة لزملائه شريكا².

أما فيما يخص الجانب الاقتصادي كانت ثروة مصر في عصر سلاطين المماليك هي الدعامة التي مكنتهم من القيام بذلك النشاط الواسع في داخل البلاد وخارجها، حيث تحل التجارة مكانة خاصة باعتباره المصدر الأول لثراء المماليك وقوة دولتهم، ومع قيام دولة المماليك في مصر كان مصحوبا بازدهار طريق البحر الأحمر وموانئ مصر واضمحلال ما عداه من طرق التجارة الرئيسية الأخرى بين الشرق والغرب، فقد عمل سلاطين المماليك على تأمين طرق التجارة داخل مصر، بحيث تصل متاجر الواردة من الشرق سليمة من موانئ البحر الأحمر الى موانئ البحر المتوسط، كما عملوا على اغراء تجار الشرق على جلب بضاعتهم الى مصر، ثم اغراء التجار الأوروبيين على تردد على مصر وموانئها لشراء تلك البضائع، وعلى رأس البضائع التي قامت عليها عظمة دولة المماليك وثروتها كانت التوابل من فلفل وبهار وقرنفل ونحوها³ وأهم ما في هذه الأسواق أن كل سوق منها اختص بنوع من

¹ سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، مرجع سبق ذكره، ص، ص 323-324.

² سيدة اسماعيل كاشف و آخرون، موسوعة تاريخ مصر عبر العصور تاريخ مصر الإسلامية، (الهيئة المصرية العامة للمكتبة العامة، الإسكندرية، 1993)، ص 421.

³ نفسه، ص، ص 421، 422.

البضائع فمثلا سوق الشمع سمي بسوق الشماعين وسوق النحاس اختص ببيع النحاس وهكذا لم يترك سلاطين المماليك حركة البيع والشراء في الأسواق دون رقابة وانما عهدوا على المحتسبين بالطواف ليلا ونهارا للتفتيش على الباعة وضبط من يحاول التلاعب بالأسعار¹ وبالإضافة الى التجارة ظلت الزراعة ركنا أساسيا في حياة مصر الاقتصادية في تلك العصور، حيث اعتبرها المماليك المورد الأول الذي عاش عليها معظم الأهالي، حيث اشتهرت مصر بإنتاج القمح الذي كان محصوله يزيد عن حاجة البلاد، حيث كانوا يمدون بلاد الشام والحجاز بمقادير وفيرة منه، هذا فضلا عن الكتان وقصب السكر والخضروات والفواكه وغيرها كما عنى المماليك بالثروة الحيوانية فأكثرها من انتاج الأغنام وجلب الأنواع الممتازة منها لتربيتها، أما الصناعة فقد اشتهرت وازدهرت بمصر نتيجة للثراء الذي عرفت به، حيث احتلت الصناعات العربية من أسلحة وسفن ونحوها مكانا بارزا في النشاط الصناعي كما ارتقت صناعة المنسوجات وصناعة المعادن والزجاج والأخشاب والجلود وغيرها، كما انتشرت صناعة تكفيت أي تطعيم البرونز والنحاس بالذهب والفضة واشتهرت بهذه الصناعة سوق الكفيتين بالقاهرة، وعن صناعة الزجاج في مصر كانت أهم مراكزها الفسطاط والفيوم والإسكندرية².

¹ سعيد عبد الفتاح عاشور، مرجع سبق ذكره، ص، ص 308، 309.

² سيدة إسماعيل كاشف وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص، ص 422، 425.

المبحث الثاني: الجانب الديني والعلمي:

لقد شهدت الحياة الدينية في عصر المماليك نشاط ديني منقطع النظير وقد يكون السر في هذا النشاط الديني الكبير هو شعور المماليك أنفسهم بأغراب عن البلاد وأهلها، مغتصبون للحكم والعرش من أصحابه الشرعيين، وما دام المماليك مسلمون يؤمنون بالله ورسوله ويحرصون على إقامة شعائر الدين واحياء سنن الاولين، ويعمرون المساجد بذكر اسم الله فيها فهم اذن حكام صالحون، أما الجزء الأكبر من النشاط الديني في عصر المماليك كان موجه لخدمة المذهب السني ومحاربة المذهب الشيعي، حيث لجأ سلاطين المماليك الى استخدام العنف أحيانا لكبت الشيعة، وفي الوقت نفسه حارب سلاطين المماليك ظاهرة التشيع عن طريق غير مباشر¹.

حيث أمر السلطان الظاهر بيبرس لأول مرة بتعيين أربع قضاة رئيسيين للمذاهب الأربعة (الشافعية، الحنبلية، المالكية والحنفية) في القاهرة وكان كل منهم مستقل في الآخر² ولا تقبل شهادة أحد ولا يرشح لإحدى وظائف الخطابة أو الامامة أو التدريس، ما لم يكن مقلد لأحد هذه المذاهب³، أما فيما يخص الجانب العلمي فقد كان مزدهر في مصر في عصر المماليك وذلك بفضل السلاطين المماليك وتشجيعهم للعلم والعلماء، فقد اكتمل نظام المدرسة وبنائها في عهد الأيوبيين حتى جاء العصر المملوكي ليتسلم المدرسة وقد اكتمل نظامها وأصبح ناضج، كذلك ورث المماليك عن الأيوبيين تشجيعهم للعلم والعلماء وحبهم واقبالهم الشديد على بناء المدارس لأسباب مختلفة حتى أصبح من المعتاد طوال العصر

¹ سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المملوكي في مصر والشام، مرجع سبق ذكره، ص 348.

² سمينوقا، صلاح الدين والمماليك في مصر، تر: حسن بيومي، (المجلس الأعلى للثقافة، اسكندرية، 1998)، ص 25.

³ سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المملوكي في مصر والشام، مرجع سبق ذكره، ص 349.

المملوكي أن يكون من آثار السلطان مدرسة أو أكثر وينطبق هذا على معظم السلاطين بداية بالمعز أيبك وانتهاء بالسلطان الغوري كما أن المدارس الذي أنشأها المماليك كانت أكثر تأنقا وزخرفا نظرا لما ينفقونه من أموال وقد بالغوا في ذلك أحيانا لذلك نجد أن الحياة العلمية كانت تتركز في المدن وخاصة بالقاهرة عن بلاد مصر بما أن عمرانها مستبحر وحضارتها مستحكمة منذ آلاف السنين ولم تكن المدارس هي المؤسسات الدينية الوحيدة التي أكسبت عصر المماليك طابعه الديني الخاص بل شهد هذا العصر إقامة مؤسسات أخرى عديدة مثل المساجد الزوايا والأوقاف وغيرها ومن الملاحظ أن كلا من المدرسة والجامع في ذلك العصر قامت بدور مزدوج في خدمة الدين والعلم¹.

¹ محمد عبد العظيم الخولي، العلماء في مصر في العصر المملوكي، مر: عفاف السيد محمد صبره، (دار الفكر العربي، القاهرة، 2014)، ص، ص. 107، 109.

المبحث الثالث: الجانب المعماري:

لقد تدفقت على سلاطين المماليك موارد ضخمة مكنتهم من أن يعنوا بالعمارة على نطاق واسع غني، فجاءت آثارهم مضاهية لأروع الآثار في أزهى عصور الإسلام، حيث عرف هذا الجانب سرعة كبيرة في الحركة العمرانية، حيث نجد السلطان المنصور قلاوون يبني مجموعته المعمارية المكونة من مدرسة وقبة ومكتب لتعليم الأيتام¹ ولقد اعتاد المماليك لأن يشيدوا منشأتهم بحجارة المقالع مثل حجر الكلس وحجري البلور والصوان المستخرجين من مصر العليا كما تحتل المدافن مكان هام بالنسبة للآثار والواقع أن طراز الأضرحة المماليكية، ذات القباب المرتفعة الجميلة انما نقل من تركستان الى مصر، وهكذا كان المماليك يعتبرون فن وطنهم الفن الأول، على الرغم من انهم انتزعوا منه في سن الصبا الباكورة² كما عرفت العمارة والتصوير والنحت رقي كبيراً في مصر على عصر السلاطين والمماليك، ومازالت العمائر الدينية والمدنية قائمة في القاهرة وغيرها من المدن من جوامع ومدارس وقصور وقباب وغيرها تشهد كلها على ما بلغته تلك الفنون من رقي في مصر ومن اجمل هذه العمائر الخالدة جامع أو مدرسة السلطان ناصر حسن وقبة ومدرسة السلطان قلاوون ومدفن برقوق وقصر الأمير بشتاك وغيرها، وكثير من هذه العمائر كسيت بالرخام وزخرفت زخارف جميلة من وحدات نباتية أو رسوم هندسية فضلاً عن بعض الآيات القرآنية المكتوبة بالخط الكوفي، مما يشهد على رقي فن الرسم والزخرفة في ذلك العصر، وهو الفن الذي ظهر في زخرفة الخزف والمنسوجات والتحف المعدنية والزجاج والبلور، أما فن النحت والحفر فارتقى بأنواعه المختلفة سواء النحت في الحجر والرخام أو الحفر في الخشب،

¹ حمد حسام الدين إسماعيل، الأصول المملوكية للعمائر العثمانية، (دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2002)، ص193.

² كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: بني أمين فارس، (دار العلم للملايين، ط5، بيروت، 1968)، ص273.

وتوجد في عمائر تلك العصر التحف المحفوظة بدار الاثار العربية بالقاهرة ومختلف دور
الاثار والمتاحف في العالم¹.

¹سيده إسماعيل كاشف واخرون، ص، ص 426، 427.

المبحث الرابع: الجانب العسكري:

لقد وضعت طبقة المماليك لنفسها نظاما حربيا كانت يطلق عليه بالطباق فالمماليك الذين يشتريهم الأمراء يوضع أغلبهم في أماكن خاصة تعرف بالطباق أو الأطباق وكانت بمثابة المدارس العسكرية، وكانت هذه الطباق في أماكن متفرقة من القاهرة وخارجها ولقد بلغ عددها اثني عشر طباقا أو أكثر وبلغ من ضخامة بعضها أن كان كأنه حي كامل وقد كان نظام تربية المماليك في الطباق له سمة خاصة وهو أن يحفظ المملوك أجزاء من القرآن الكريم ولكل طائفة من المماليك فقيه يحضر إليها كل يوم ويأخذ في تعليمها القرآن والخط وآداب الشريعة والصلوات والأذكار فاذا شب واحد منهم علمه الفقيه شيئا من الفقه، فاذا صار إلى سن البلوغ أخذوا في تعليمه فنون الحرب من رمي السهام ولعب الرمح ونحو ذلك، ويتسلم كل طائفة معلم يبلغ بها الغاية في معرفة ما يحتاج إليه في هذا المضمار¹، وإذا ركبوا إلى لعب الرمح أو رمي النشاب لا يجسر جندي ولا أمير يحدثهم ثم ينقل المملوك إلى الخدمة ويتدرج فيها رتبة بعد رتبة إلى أن يصير من الأمراء فلا يبلغ هذه الرتبة، إلا وقد تهذبت أخلاقه وكثرت آدابه وامتزج تعظيم الإسلام بقلبه وحسن لعبه بالرمح ومرن على ركوب الخيل وكان لهم خدام وأكابر من النواب يفحصون الواحد منهم فحصا شافيا ويأخذونهم أشد المؤاخظة على حركاته وسكناته، وإذا اقترف ذنبا قابله على ذلك بعقوبة شديدة بقدر جرمه فذلك كانوا سادة يدبرون المماليك وقادة يجاهدون في سبيل الله وأهل سياسة يباليغون في اظهار الجميل كما اهتم سلاطين المماليك بتعليم ممالिकهم في الطباق فنون الفروسية وذلك من أجل حماية مصر من الغزو المغولي².

¹ سمير صبري شبل، المؤثرات المشرقية في العصر المملوكي العسكري-الدينية-العلمية-الاجتماعية، (دار شباب الجامعة، الإسكندرية، 2013)، ص.85.

² نفسه، ص.86.

خاتمة

خاتمة

من خلال هذه الدراسة توصلنا إلى النتائج الآتية:

- انه بعد وفاة الناصر صلاح الدين الأيوبي بدأ البيت الأيوبي في التشتت بسبب الضعف الذي أصبحت تعرفه في صفوفها، الشيء الذي دفع بملوكها إلى البحث عن بدائل أخرى و هي الإستكثار من العنصر المملوكي المعروف بقوته.
- أن دولة المماليك تنقسم إلى قسمين يشهد عليهما التاريخ: الأولى و هي البحرية المتداول على حكمها ما يقارب 25 سلطانا، أما الثانية و هي البرجية و التي تعتبر إمتداد للدولة الأولى و تداول على حكمها ما يقارب 28 سلطانا.
- أن دولة المماليك تميزت بكثرة سلاطينها و تمسكهم بالمذهب السني و محاربتهم للشيعنة بالإضافة إلى جملة الإنتصارات التي حققها سلاطينها خاصة في الحروب مع الصليبيين و المغول.
- برزت مجموعة من الجوانب الحضارية في عصر المماليك و التي كانت متطورة في جميع المجالات.
- كان سقوط هذه الدولة على يد العثمانيين و ذلك راجع إلى عدة أسباب و عوامل أدت بها إلى التدهور و الإنحلال خاصة فيما يتعلق بالجانب العسكري لكون الدولة العثمانية كان متطورا و قويا و يندم ذلك في الدولة المملوكية.

قائمة الملاحق

- ❖ ملحق رقم 01: سلاطين الممالك البحرية
- ❖ ملحق رقم 02: سلاطين الممالك البرجية
- ❖ ملحق رقم 03: خريطة دولة الممالك (الحرية-البرجية)

ملحق رقم 01: قائمة سلاطين المماليك البحرية في مصر:

اسم السلطان	تاريخ حكمه	اسم السلطان	تاريخ حكمه
المعز عز الدين أيبك التركماني	648هـ / 1250م	المنصور سيف الدين أبو بكر	741هـ / 1341م
المنصور نور الدين علي	655هـ / 1257م	الأشرف علاء الدين كجك.	742هـ / 1342م
المظفر سيف الدين قطر	657هـ / 1259م	الناصر شهاب الدين أحمد	742هـ / 1342م
الظاهر ركن الدين بيبرس الأول	658هـ / 1260م	الناصر عماد الدين اسماعيل	743هـ / 1343م
السعيد ناصر الدين بركة خان	676هـ / 1277م	الكامل سيف الدين شعبان	746هـ / 1346م
العادل بدر الدين سلامش	678هـ / 1279م	المظفر سيف الدين حاجي	747هـ / 1347م
المنصور سيف الدين قلاوون	678هـ / 1279م	الناصر نصر الدين حسن	748هـ / 1348م
الأشرف صلاح الدين خليل	689هـ / 1290م	الصالح صلاح الدين صالح	752هـ / 1352م
الناصر نصر الدين محمد	693هـ / 1293م	الناصر نصر الدين حسن (للمرة الثانية)	755هـ / 1355م

قائمة الملاحق:

1362 هـ / 762 م	المنصور صلاح الدين محمد	1294 هـ / 694 م	العادل زين الدين كتبغا
1364 هـ / 764 م	الأشرف ناصر الدين شعبان (للمرة الثانية)	1297 هـ / 696 م	المنصور حسام الدين لاجين
1378 هـ / 778 م	المنصور علاء الدين علي	1299 هـ / 698 م	الناصر نصر الدين محمد (للمرة الثانية)
1383 هـ / 783 م	الصالح صلاح الدين حاجي (للمرة الثانية)	1309 هـ / 708 م	المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير
	الظاهر سيف الدين برقوق (للمرة)	1310 هـ / 709 م	الناصر نصر الدين محمد (للمرة الثالثة)

المصدر: حسيني محمد نويصر، العمارة الإسلامية في مصر عصر الأيوبيين والمماليك، مكتبة

زهراء الشرق، القاهرة، د. ت)، ص، ص 116، 117.

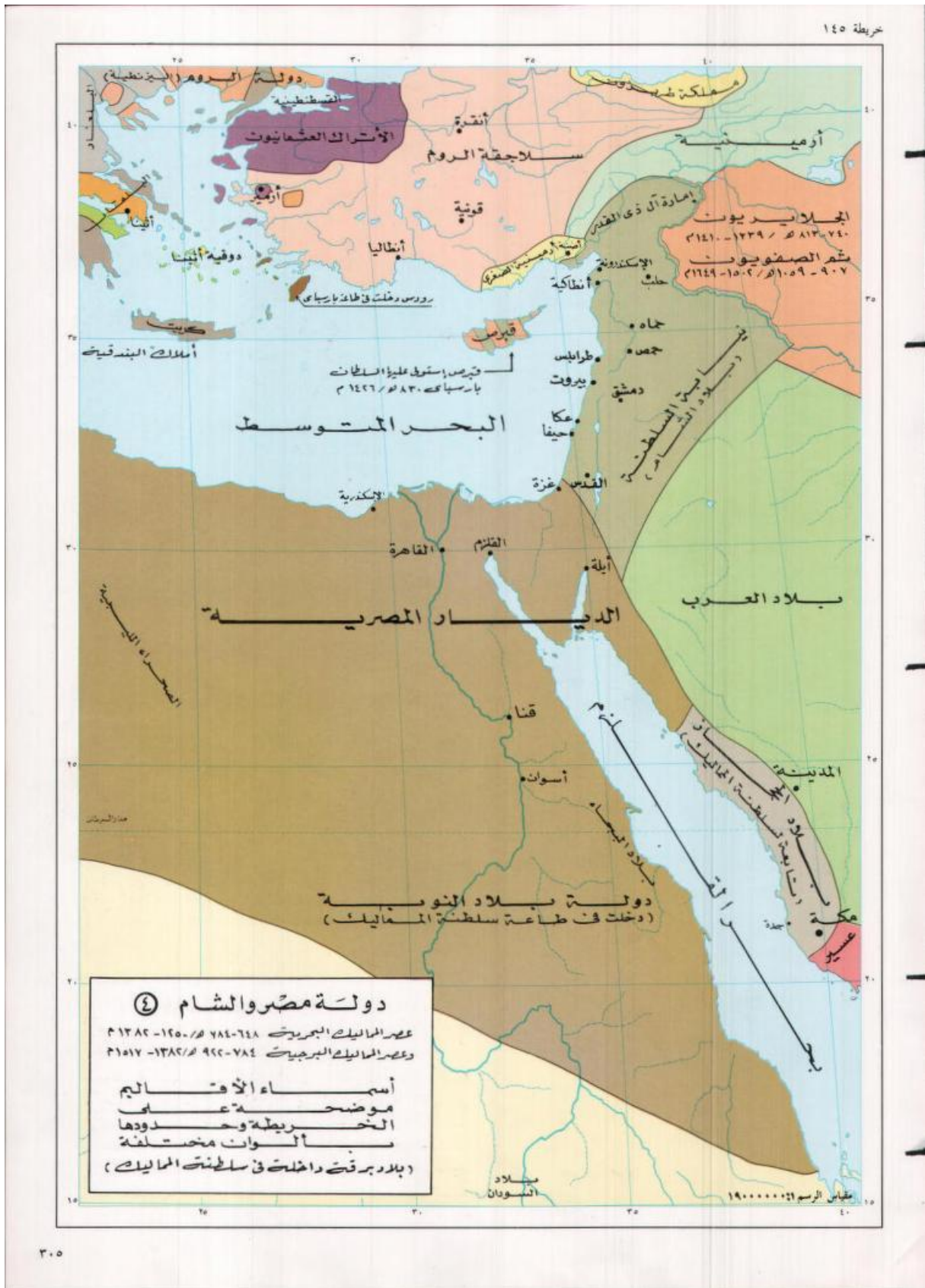
ملحق رقم 02: قائمة سلاطين المماليك البرجية في مصر:

اسم السلطان	تاريخ حكمه	اسم السلطان	تاريخ حكمه
الظاهر سيف الدين برقوق	784هـ / 1382م	الأشرف سيف الدين اينال العلائي	857هـ / 1453م
المنصور حاجي	791هـ / 1389م	المؤيد شهاب الدين أحمد بن اينال	865هـ / 1461م
الناصر نصر الدين فرج بن برقوق	801هـ / 1399م	الظاهر سيف الدين خشقدم	865هـ / 1461م
المنصور عز الدين عبد العزيز برقوق	808هـ / 1405م	الظاهر سيف الدين يلباي	872هـ / 1467م
السلطان الناصر فرج (للمرة الثانية)	808هـ / 1405م	الظاهر تمرغا	872هـ / 1467م
ال خليفة العباسي العادلي المستعين بالله	815هـ / 1412م	الأشرف سيف الدين قايتباي	872هـ / 1467م
المؤيد سيف الدين شيخ المحمودي	815هـ / 1412م	الناصر نصر الدين محمد بن قايتباي	901هـ / 1496م
المظفر شهاب الدين أحمد بن المؤيد الشيخ	824هـ / 1421م	الظاهر قنصوه	904هـ / 1499م
الظاهر سيف الدين ططر	824هـ / 1421م	الاشرف جانبلاط	905هـ / 1500م
الصالح ناصر الدين محمد	824هـ / 1421م	العادل سيف الدين طومان	906هـ / 1509م

قائمة الملاحق:

بن ططر	باي		
الأشرف سيف الدين برسباي	1422هـ / 1422م	الأشرف قونصوه الخوري	906هـ / 1501م
العزیز جمال الدين سيف بن برسباي	1438هـ / 1438م	الأشرف طومان باي	922هـ / 1516م
الظاهر سيف الدين جقمق	1439هـ / 1439م		
المنصور فخر الدين عثمان بن جقمق	1453هـ / 1453م		

المصدر: محمد عبد العظيم الخولي، مر: عطية القومي، الأزهر الشريف في العصر المملوكي، (دار الفكر العربي، القاهرة، 2012)، ص، ص 57، 58.



المصدر: حسين مؤنس، أطلس تاريخ الاسلام، دار الزهراء للاعلام العربي، القاهرة، د.ت، مج 1، ص 305

قائمة المصادر

و المراجع

1_ المصادر:

- 1/ السير، وليم موير، تاريخ دولة المماليك في مصر، تر: محمود عابدين و آخرون، (مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995).
- 2/ المحامي، محمد فريد بيك، تاريخ الدولة العليا العثمانية، تح: إحسان حقي، (دار النفائس، بيروت، 1981).
- 3/ المقرزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: سعيد عبد الفتاح عاشور، (مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة، 1957، ج1).
- ____، المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار المخرزية، تح: محمد زنيهم و آخرون، (مكتبة مدبولي، القاهرة، 1997).
- 4/ ابن كثير، البداية و النهاية، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (هجر للطباعة و النشر و التوزيع، مصر، 1998، ج17).
- 5/ ابن منصور، لسان العرب، (دار الصادر، بيروت، 2010، ج10).
- 6/ بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الاسلامية، تر: نبي أمين فارس، (دار العلم للملايين، ط5، بيروت، 1968).
- 7/ سيمينوقا، صلاح الدين و المماليك في مصر، تر: حسن بيومي، (المجلس الأعلى للثقافة، الإسكندرية، 1998).

2_ المراجع:

- 1/ أبو طالب، أسامة، الدولة العباسية، (دار البداية ناشرون و موزعون، الأردن، 2014).
- 2/ أورصوى، خيرى، و آخرون، تاريخ الشراكسة الإباضية، تر: فؤاد أحمد كامل، (المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2016).
- 3/ الأبياري، إبراهيم، نظرات في التاريخ الاسلامي، (دار الكتاب المصري، القاهرة، 1987، م.ج2).
- 4/ البرغوثي، محمد صالح، و آخرون، تاريخ فلسطين، (مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2001).
- 5/ البهجي، إيناس حسين، دولة المماليك البداية و النهاية، (دار التعليم الجامعي، القاهرة، 2015).
- 6/ الحنون، مصطفى هاشم عبد العزيز، الصراع بين المماليك و القوى السياسية في المشرق الإسلامي، (المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2013).
- 7/ الخطيب، عبد القادر هيثم، موسوعة الفتوحات الإسلامية من كتاب الكامل في التاريخ لابن أثير مقتطفات من أحاديث الإمام محمد متولى الشعراوي، (دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2005).
- 8/ الخولي، محمد عبد العظيم، الأزهر الشريف في العصر المملوكي 648هـ. 923هـ/1250م. 1517م، مر: عطية القوصي، (دار الفكر العربي، القاهرة، 2012).
- _____ ، العلماء في مصر في العصر المملوكي، مر: عفاف السيد محمد صبري، (دار الفكر العربي، القاهرة، 2014).
- 9/ السيد، محمود، تاريخ الدولة العثمانية و حضارتها، (مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2004).

- 10/ الصلابي، محمد علي، الدولة العثمانية عوامل النهوض و أسباب السقوط، (مكتبة حسين للعصرية للطباعة و النشر و التوزيع، لبنان، 2010، ج1).
- 11/ العبادي، أحمد مختار، قيام دولة المماليك الأولى في مصر و الشام، (مؤسسة شباب الجامعة للطباعة و النشر و التوزيع، الإسكندرية، د.ت).
- 12/ الفقي، عصام الدين عبد الرؤوف، موسوعة الثقافة التاريخية و الأثرية و الحضارية التاريخ الإسلامي التطور التاريخي للدولة الإسلامية، (دار الفكر العربي، القاهرة، 2008، م ج8).
- 13/ القوسي، عطية، موسوعة الثقافة التاريخية و الأثرية و الحضارية التاريخ الإسلامي التطور التاريخي للدولة الإسلامية، (دار الفكر العربي، القاهرة، 2008، م ج5).
- 14/ اللهبي، حميدي فتحي سالم، و آخرون، جوانب من الحياة الاقتصادية و الاجتماعية في العصر المملوكي تفسير جديد، (دار غيداء، لبنان، 2014).
- 15/ إسماعيل، محمد حسام الدين، الأصول المملوكية للعمائر العثمانية، (دار الوفاء لدينا للطباعة و النشر، الإسكندرية، 2002).
- 16/ بن الشيخ، طالبي الأعرج، مختصر تاريخ العرب، (منشورات دار الأديب، الجزائر، 2006).
- 17/ بيات، فاضل، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، (دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002).
- 18/ جورجي، زيدان، مصر العثمانية، تح: محمد حرب، (دار الأفاق العربية، القاهرة، 2002).
- 19/ حسن، إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي_الديني_الثقافي_الاجتماعي، (مكتبة النهضة المصرية، ط.15، القاهرة، 2001، ج4).

- 20/ حسنين، إبراهيم، سلاطين الدولة العثمانية عوامل النهوض و أسباب السقوط، (دار التعليم الجامعي، بيروت، 2014).
- 21/ حسين، حمدى عبدالمنعم محمد، تاريخ الأيوبيين و المماليك، (دار المعرفة الجامعية للطبع و النشر و التوزيع، الإسكندرية، 2000).
- 22/ حطيط، أحمد، قضايا من تاريخ المماليك السياسى و الحضارى، (الفرات للنشر و التوزيع، بيروت، 2003).
- 23/ حليم، إبراهيم بيك، تاريخ الدولة العثمانية العليا التحفة الحليمة، (مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1988).
- 24/ خليل، نور الدين، سيف الدين قطز قاهر المغول، (مؤسسة حورس الدولية للنشر و التوزيع، الإسكندرية، 2009).
- ____، شجرة الدر قاهرة الملوك و منقذة مصر، (مؤسسة حورس الدولية للنشر و التوزيع، الإسكندرية، 2010).
- 25/ سالم، أحمد، إستراتيجية الفتح العثماني، (مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2012).
- 26/ شبل، سمير صبري، المؤثرات المشرقية فى العصر المملوكى العسكرية_ الدينية_ العلمية_ الاجتماعية، (دار شباب الجامعة، الإسكندرية، 2013).
- 27/ طقوش، محمد سهيل، تاريخ الأيوبيين فى مصر و بلاد الشام و إقليم الجزيرة، (دار النفائس للطباعة و النشر و التوزيع، ط2، لبنان، 2008).
- ____، تاريخ المماليك فى مصر و الشام، (دار النفائس للنشر و التوزيع، لبنان، 1997).

- 28/ عاشور، سعيد عبد الفتاح، الأيوبيين و المماليك في مصر و الشام، (دار النهضة العربية، القاهرة، 1996).
- ، العصر المماليك في مصر و الشام، (دار النهضة العربية، ط2، القاهرة، 1976).
- ، مصر و الشام في عصر الأيوبيين و المماليك، (دار النهضة العربية، لبنان، 2011).
- 29/ عزام، خالد، العصر العباسي، (دار أسامة، عمان، 2006).
- 30/ عودات، أحمد، و آخرون، تاريخ المغول و المماليك القرن السابع الهجري حتى القرن الثالث عشر هجري، (دار الكندي، إربد، 1999).
- 31/ عودة، محمد عبد الله، و آخرون، مختصر التاريخ الاسلامي، (د.ن، عمان، 1989).
- 32/ غربي، الغالي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية و المشرق العربي 1200_1916، (ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007).
- 33/ قاسم، عبدة قاسم، و آخرون، الأيوبيين و المماليك التاريخ السياسي و العسكري، (عين للدراسات و البحوث الانسانية و الاجتماعية، القاهرة، 1998).
- ، عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي و الاجتماعي، (عين للدراسات و البحوث الانسانية و الاجتماعية، دم، 2012).
- 34/ كاشف، سيدة إسماعيل، موسوعة تاريخ مصر عبر العصور تاريخ مصر الاسلامية، (الهيئة المصرية العامة للمكتبة، الإسكندرية، 1993).
- 35/ لعريني، السيد باز، المماليك، (دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، د.ت).
- 36/ منصور، عبد الحكيم، الدولة العثمانية من الأمانة إلى الخلافة، (دار الكتاب العربي، ط3، القاهرة، 2013).

قائمة المصادر والمراجع:

- 37/ مؤنس، حسين، اطلس تاريخ الاسلام، (دار الزهراء للاعلام العربي، القاهرة، د.ت، مج1).
- 38/ نجم، زين العابدين شمس الدين، تاريخ الدولة العثمانية، (دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة، ط2، عمان، 2014).
- 39/ نوبصر، حسني محمد، العمارة الاسلامية في مصر عصر الأيوبيين و المماليك، (مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، د.ت).
- 40/ يحي، أمين فوزي، و آخرون، تاريخ الدولة العباسية العصر العباسي الثاني، (دار الفكر ناشرون و موزعون، عمان، 2010، ج2).

المعاجم:

- 1/ صابان، سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مر: عبد الرزاق محمد حسن بركات، (مكتبة الملك الفهد الوطنية، ط3، الرياض، 2000).

المجلات:

- 1/ المستادي، ريهام، "تاريخ التجارة العربية الاسلامية بغداد_ القاهرة"، مجلة كان التاريخية، العدد 06، دار ناشري النشر الإلكتروني، القاهرة، 2009.

الصفحة	الموضوع
أ	-المقدمة
1	-الفصل التمهيدي: نبذة تاريخية عن دولة المماليك
2	• المبحث الأول: تعريف المماليك (أصلهم، لغتهم)
4	• المبحث الثاني: نشأة دولة المماليك
8	• المبحث الثالث: نظام الحكم في دولة المماليك
9	-الفصل الثاني: المماليك البحرية في مصر 1250م-1382م.
10	• المبحث الأول: المماليك البحرية ونشأتهم
19	• المبحث الثاني: نماذج عن معارك المماليك البحرية
25	• المبحث الثالث: خصائص المماليك البحرية
27	-الفصل الثالث: المماليك البحرية في مصر 784هـ-923هـ/1382م-1517م....
28	• المبحث الأول: المماليك البرجية ونشأتهم
31	• المبحث الثاني: نماذج عن معارك المماليك البرجية
36	• المبحث الثالث: خصائص المماليك البرجية
38	• المبحث الرابع: سقوط دولة المماليك
40	-الفصل الرابع: المظاهر الحضارية لدولة المماليك
41	• المبحث الأول: الجانب الاجتماعي والاقتصادي

45	• المبحث الثاني: الجانب الديني والعلمي
47	• المبحث الثالث: الجانب المعماري
49	• المبحث الرابع: الجانب العسكري
51	-الخاتمة
52	-قائمة الملاحق:
53	▪ ملحق رقم 01: سلاطين المماليك البحرية
55	▪ ملحق رقم 02: سلاطين المماليك البرجية
57	▪ الملحق رقم 03: خريطة دولة المماليك (البحرية، البرجية)
68	-قائمة المصادر والمراجع